الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

-جامعة الأغواط-

كلية العلوم الإنسانية والإسلامية والحضارة

قسم التاريخ

# الحـــركة الإصـــلاحـــــية فـــــي تـــــونـــــس

# 1859م-1920م

## مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي المعاصر

إعداد الطالبة:

إيمـــــان مـــــدوحة

إشراف الدكتور:

مبارك شـــــودار

لجنة المناقشة

| الاسم واللقب | مؤسسة الانتماء | الصفة |
|---|---|---|
| بن سعيدان محمد | جامعة الاغواط | رئيسا |
| شودار مبارك | جامعة الاغواط | مشرفا ومقررا |
| عطية محمد | جامعة الاغواط | عضوا |

العام الجامعي 1444-1445هـ/2023-2024م

الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

-جامعة الأغواط-

كلية العلوم الإنسانية والإسلامية والحضارة

قسم التاريخ

# الحـــركة الإصـــلاحـــــية فـــــي تـــــونـــــس

# 1859م-1920م

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي المعاصر

إعداد الطالبة:

إيمـــــان مدوحة

إشراف الدكتور:

مبـــارك شـــودار

العـــــام الجامعي

1444-1445هـ/2023-2024م

بسم الله الرحمن الرحيم

**"يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات"**

الحمد لله أولا وآخـــــرا.

وما تــوفيقي إلا بــالله.

وأخيرا وبعد طول انتظار تحقق الحلم رغم الظروف والمحن بقلب صادق يملأه الحب والامتنان.

أهدي تخرجي وثمرة تعبي

إلى النور الذي أنار دربي والسراج الذي لا ينطفأ نوره أبدا والذي بذل جهد السنين من أجل أعتلي سلالم النجاح "والـــدي العزيـــز" وإلى من أخص الجنة تحت قدميها "أمي الغـــــالية"

إلى روح جـــدي وخـــالتي رحمهما الله

إلى إخوتي وهيبة، نجوى، حياة، وأخوي الغاليين شريف وعبد المالك، زهية، مسعودة.

إلى كل من تلقينا العلم على يديه من التعليم الابتدائي إلى الطور الجامعي.

إلى أخواتي في الله نور الهدى، مسعودة، كريمة، فضيلة، فطوم، سعدية، هنية، مريم، بشرى.

إلى معلمتي شلباك. م، وإلى عائلتي الثانية، خالاتي، أخوالي، عماتي، أعمامي، والى جدي وجدتي أطال الله في عمرهما.

إلى كل أصدقائي وأحبابي وكل من ساندنا ولو بابتسامة لنقف على ناصبة العلم.

قال المولى عزوجل: **"ولئن شكرتم لأزيدنكم"**.

نشكر المولى تعالى الذي وفقنا ومكننا من إتمام هذا العمل المتواضع والحمد لله المستعان والصلاة والسلام على خير الانام.

يسعدني ان أتقدم بجزيل الشكر وعرفانا بالجميل الى الأستاذ المشرف **"شودار مبارك"** لقبوله الاشراف على عملي ولما قدمه لي من توجيهات ونصائح.

والى نائب العميد جعيرن معمر فلولاه لم أكمل مسيرتي الدراسية والى كل أساتذة قسم التاريخ وبالأخص الأستاذة بن جدو ص، د- عطية محمد، د- جفال عمر.

وإلى زميلتي في المشوار الجامعي كله فاطمة الزهراء عرابة، والى زميلاتي في الدفعة صفية، خولة، مسعودة، فضيلة.

وإلى كل من مد لي يد العون من قريب أو بعيد وبالأخص **أخـــــــي عبد المـــــــالك**.

# قـــــائـــــــمة المـــــختصـــــــرات.

| | |
|---|---|
| ت | توفي |
| تح | تحقيق |
| تر | ترجمة |
| ج | ج |
| د ب ن | دون بلد النشر |
| د د ن | دون دار النشر |
| ص | الصفحة |
| ط | الطبعة |
| ع | العدد |
| م | التاريخ الميلادي |
| مج | مجلد |
| هـ | التاريخ الهجري |
| AD | Aftera citato |
| OP.CIT | Opera citato |
| P | Page |
| VOL | المجلد |

يعد القرن التاسع عشر الميلادي بداية لظهور الحركة الاصلاحية في البلاد التونسية، حيث ظهر العديد من المفكرين الذين دعوا لضرورة ادخال اصلاحات جذرية على المنظومة السياسية والاقتصادية والثقافية والدينية، وقد توجت جهود بعض المفكرين والاصلاحيين في تونس بنتائج جد طيبة، كان لها الاثر البالغ على جميع المستويات في تونس ولعل أبرز هؤلاء المفكرين محمد صادق باي ومحمد بيرم الخامس وخير الدين التونسي، والذين سعوا إلى محاولة تغيير الواقع المعيش في تونس بما قاموا به من اصلاحات سياسية واجتماعية وثقافية مما ساهم في ظهور جمعيات ثقافية مثل الخلدونية والصادقية اللتان سعوا لتنوير الفكر التونسي ورفع مستوى التعليم والوعي، كما كان للنشاط الصحفي دور كبير في نشر الوعي ودفع الشباب لمواجهة الاحتلال والوقوف في وجه المحتل.

### ✓ أهمية الموضوع من الناحية العلمية:

يكتسي هذا الموضوع اهمية بالغة بالنسبة لحقل الدراسات التاريخية عامة والحركة الاصلاحية في تونس بصفة خاصة لكونه يبحث في موضوع جدير بالدراسة والاهتمام لأنه يحاول التنقيب والإجابة على العديد من الاشكاليات التي لها علاقة وطيدة بالفكر الاصلاحي وروواده وتداعياته في المجتمع التونسي خلال حقبة زمنية لا تقل أهمية عن الموضوع وتكمن أهمية الموضوع من خلال معالجته للعناصر التالية:

- معرفة الظروف العامة في تونس وذلك قبل فرض الحماية.
- البحث عن اسباب وعوامل بروز الحركة الاصلاحية في تونس.
- اضافة الى التعرف على اهم الشخصيات الاصلاحية التي ساهمت في رقي وتقدم الحركة النهضوية العربية الاسلامية في البلاد التونسية.
- المساهمة في اثراء رصيد المكتبة الجامعية.

### ✓ دوافع اختيار الموضوع:

لقد ساهمت العديد من العوامل في اختياري لهذا الموضوع ويمكن تقسيم هاته العوامل بين ما هو موضوعي وذاتي:

أما العوامل الموضوعية فتمثلت فيما يلي:

1. الرغبة في التعرف على ظروف الحركة الاصلاحية في تونس وأهم روادها وتداعياتها على المجتمع التونسي الشقيق ومحاولة ربط مصير هاته الحركة بما يقابلها في الجزائر ممثلة بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ومحاولة اجراء مقارنة بين الحركتين من خلال التعرف على أوجه التشابه والاختلاف.
2. تحفيز وتشجيع الدكتور محمد عطية على الغوص والبحث في هكذا مواضيع متعلقة بتاريخ تونس لما له علاقة وطيدة بمشروعي الماستر والتخصص.
3. قلة الدراسات التي تناولت الموضوع سواء في جامعة عمار ثليجي بالأغواط أو باقي جامعات الوطن.

أما العوامل الذاتية فكانت كالتالي:

1. الرغبة الشخصية في البحث والتنقيب عن تاريخ الحركة الاصلاحية في العالم الاسلامي عامة والمغرب الاسلامي خاصة.
2. محاولة إثراء مكتبة الجامعة بعمل أكاديمي يكون مرجعا مهما وملما بموضوع الحركة الاصلاحية في تونس.

✓ **الاطار الزماني والمكاني:**

- **الإطار المكاني:** تعالج الدراسة موضوعا مهما محصورا في إطاره المكاني بتونس بحدودها الجغرافية الحالية وبالرغم من ذلك لم يمنعنا أن نخرج عن هذا الإطار لتتبع مصدر الحركة الاصلاحية وبداياتها لذا من الممكن أن نخرج في بعض الأحيان عن هذا الإطار.
- **الإطار الزماني:** يشمل هذا البحث الحيز الزمني الذي تولى فيه محمد صادق باي الحكم سنة 1859م الى غاية تأسيس الحزب الدستوري الحر سنة 1920م.

✓ **اشكالية البحث:**

فقد انطلقت من نقطة بحث اساسية الا وهي معرفة الدور الذي قامت به الحركة الاصلاحية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبالتحديد الفترة الزمنية من 1859م والتي تمثل بداية حكم محمد صادق باي للبلاد التونسية الى غاية تأسيس الحزب الدستوري الحر سنة 1920م.

فكان السؤال المحوري والرئيسي: **– إلى أي مدى ساهمت الحركة الاصلاحية في تغيير الأوضاع السياسية والاقتصادية والثقافية والفكرية للمجتمع التونسي وماهي أهم الركائز التي بنيت عليها؟**

وقد تمخضت عنها مجموعة من الاسئلة الفرعية اهمها:

- **من هم أبرز رواد هذه الحركة الاصلاحية وفيما تمثلت إسهاماتهم الحضارية؟**
- **ماهي نتائج الحركة الاصلاحية على المجتمع التونسي؟**

✓ **المنهج المعتمد:**

نظرا لما تقتضيه طبيعة هذه الدراسات التاريخية فقد اتبعت منهجا فرضته علينا الدراسة الا وهو المنهج الوصفي التاريخي الذي ساعدني في وصف الاحداث وترتيبها ترتيبا دقيقا ووضعها حسب مراحل البحث، مع عدم اغفالي للمنهج التحليلي عند الاقتضاء والحاجة لذلك.

✓ **الخطة المعتمدة:**

تم بناء الخطة على اساس موضوعي فارتأيت على ضوء المادة العلمية التي اطلعت عليها والمتوفرة لدي، فقسمت البحث الى ثلاثة فصول، بدأ بالمقدمة مهدت فيها للموضوع وذكرت في اطارها اهم المصادر التي اعتمدت عليها وختمتها بخاتمة حول اهم النقاط التي توصل اليها هذا البحث ومن ثم مجموعة من الملاحق التي توضح وتبين جزء من النقاط التي تطرقت اليها، فقائمة المصادر والمراجع.

فتحدثت في **الفصل الاول** عن ارهاصات الحركة الاصلاحية في تونس قبل الحماية 1881م، فقسمته الى ثلاثة مباحث كل مبحث يحتوي على مطلبين فالمبحث الاول جاء بعنوان تعريف الحركة الاصلاحية في تونس لغة واصطلاحا، اما المبحث الثاني فتطرقت فيه الى الظروف العامة في تونس قبل فرض الحماية ثم خصصت المبحث الثالث الى الاسباب التي ادت الى بروز الحركة الاصلاحية بتونس سياسيا واقتصاديا وكذا اجتماعيا وثقافيا.

وكان **الفصل الثاني** بعنوان رواد الحركة الاصلاحية في تونس واسهاماتهم الحضارية والذي قسمته كذلك الى ثلاث مباحث وكل مبحث يحتوي على مطلبين، فقد عالج المبحث الاول التعريف بشخصية محمد صادق باي 1859م-1882م وكذا معرفة اهم اعماله الاصلاحية (سياسيا واقتصاديا، عسكريا، تعليميا) في حين تطرقت في المبحث الثاني الى التعريف بمحمد بيرم الخامس 1840م-1889م واهم اعماله الاصلاحية (سياسيا واقتصاديا وكذا عسكريا وتعليميا)، بينما خصصت المبحث الثالث الى التعريف بشخصية خير الدين التونسي واهم اعماله الحضارية (سياسيا واقتصاديا وكذا عسكريا وتعليميا).

أما **الفصل الثالث** والذي جاء بعنوان انعكاسات الحركة الاصلاحية على المجتمع التونسي فقسمته الى اربع مباحث وكل مبحث يشمل مطالب، فالمبحث الاول تحدثت فيه على نتائج الحركة الاصلاحية في تونس على الصعيد السياسي، فتطرقت في المطلب الاول للحديث عن خطاب البشير صفر، في حين تكلمت في المطلب الثاني عن مؤتمر مرسيليا، في حين خصصت المطلب الثالث للحديث عن الحزب الدستوري تأسيسه واهم مطالبه السياسية، اما المبحث الثاني فقد عالج نتائج الحركة الاصلاحية في تونس على الصعيد الاقتصادي، فتحدثت فيه على اقتصاد تونس قبل وبعد فرض الحماية، في حين عالج المبحث الثالث نتائج الحركة الاصلاحية في تونس على الصعيد الثقافي الفكري، فتحدثت في المطلب الاول على النشاط الصحفي التوعوي وبالخصوص "جريدة الحاضرة 1888م" ثم تحدثت عن "جريدة الزهرة 1890م" ثم انتقلت الى باقي الجرائد التي نشطت بعد هاتين الجريدتين الحاضرة والزهرة الا وهم "جريدة الاخبار والبستان 1888م" و"البصيرة 1892م" و"سبيل الرشاد 1895م" وغيرها من الجرائد، اما المطلب الثاني فقد خصصته للحديث عن النشاط

الجمعوي وبالخصوص الجمعية الخلدونية ونشاطها وكذا تطرقت الى نشاط الجمعية الصادقية وأهم أهدافها .

بينما تضمن المبحث الاخير نتائج الحركة الاصلاحية في تونس على الصعيد التعليمي، فتطرقت في المطلب الاول للحديث عن اهم المؤسسات التعليمية ألا وهي جامع الزيتونة أشرت أولا الى تعريفه ونشأته وكذا اهم المؤسسات التعليمية هناك وأشهر علماء جامع الزيتونة، في حين تكلمت في المطلب الثاني عن اهم الزوايا والكتاتيب والتي تعتبر من اهم المؤسسات التعليمية والمراكز العلمية في البلاد التونسية التي كان يتلقى التلاميذ التعليم فيها.

✓ **الدراسات السابقة:**

بشأن الدراسات السابقة التي تطرقت اليها في هذا الموضوع فإني لم أجد الموضوع مدروس بشكل متخصص في الفترة ذاتها لكنه مدروس في فترة قريب من الفترة التي درستها ومن بين الدراسات التي مهدت لي الطريق لفهم الموضوع بشكل مفصل ودقيق نذكر ما يلي:

1. مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر لبلعابد فريال واحمد صاري بعنوان "الحركة الاصلاحية والنهضة بتونس في النصف الثاني من القرن التاسع عشر " استعنت بها حول اعطاء هيكلة لموضوع دراستي واعطاء نظرة للوصول الى المصادر والمراجع التي احتاجها في موضوعي.
2. مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر لياسين شيخ بعنوان "خير الدين التونسي حياته واطروحاته الاصلاحية" استعنت بها في الفصل الثاني للتعرف على شخصية خير الدين التونسي وكذا معرفة اهم اصلاحاته الحضارية التي قام بها.
3. رسالة دكتوراه للوافي سمية بعنوان "نشاط الطلبة الجزائريين الفكري والثقافي بتونس 1930م-1962م جامع الزيتونة آ نموذجا" تكلمت هذه الرسالة عن جامع الزيتونة واهم المؤسسات التعليمية بالإضافة الى أبرز علمائه أفادتني كثيرا في الفصل الثالث خاصة في نتائج الحركة على الصعيد التعليمي.

✓ **اهم المصادر والمراجع:**

كما اعتمدت على بعض المصادر والمراجع اهمها:

1. **المصادر**:

- كتاب صفوة الاعتبار بمستودع الامصار والاقطار لمحمد بيرم الخامس اعتمدت على الجزء الثاني في الفصل الاول وبالتحديد في المبحث الثاني عندما تطرقت الى الظروف العامة في تونس قبل فرض الحماية فساعدني كثيرا لمعرفة ظروف المجتمع التونسي قبيل فرض الحماية الفرنسية وكذا عوامل بروز الحركة الاصلاحية في تونس.
- كتاب اتحاف اهل الزمان بأخبار تونس وعهد الامان لأحمد ابن ابي الضياف الدي افادني كثيرا خاصة الجزء الخامس منه والذي تناول تاريخ محمد صادق باي.

كما اعتمدت على مجموعة من **المراجع** منها خاصة:

- كتاب مواقف اصلاحية في تونس قبل فرض الحماية لأحمد عبد السلام والذي افادني في الوصول الى الاسباب التي ادت الى بروز الحركة الاصلاحية بتونس.
- كتاب الجيش التونسي لمحمد صادق باي (1859م-1882م) للشيباني بن بلغيث والذي ساعدني في الفصل الاول لمعرفة اسباب ظهور الحركة الاصلاحية.
- كتاب اعلام التونسيين لصادق الزمرلي والذي افادني خاصة في الفصل الثاني للتعرف على شخصية محمد بيرم الخامس.
- كتاب ابحاث ودراسات في التاريخ العربي المعاصر لحبيب حسن اللولب والذي ساعدني خاصة في الفصل الثاني للتعرف على اهم الاصلاحات التعليمية والاقتصادية لشخصية خير الدين التونسي.

كما اعتمدت على عدد من الدراسات خاصة في الفصل الاخير وبالتحديد في المبحث الرابع والذي هو بعنوان نتائج الحركة الاصلاحية في تونس على الصعيد التعليمي ومن بين اهم الدراسات التي مهدت لي الطريق لفهم هذا المبحث أكثر هي:

- رسالة دكتوراه للوافي سمية بعنوان نشاط الطلبة الجزائريين الفكري والثقافي بتونس (1930م-1962م) جامع الزيتونة آنموذجا.

✓ **الصعـــــــوبـــــات:**

لابد ان لكل باحث مبتدأ تواجهه مجموعة من الصعوبات وخاصة في نقطة مرحلة البداية والنهاية ومن بين الصعوبات التي واجهتني في إطار اعداد هذا البحث:

- ضيق الوقت.
- اختلاف المراجع في سرد بعض الاحداث التاريخية وهذا ما جعلني استصعب الامر في بداية مرحلة البحث.
- صعوبة التنسيق بين المراجع والمصادر التي تحتوي على معلومات متشابهة.
- نقص المادة العلمية التي تتضمن موضوعي خاصة في جامعتي.
- صعوبة توفر بعض المصادر على صيغة PDF.

وفي الاخير ما يمكن قوله اننا في ختام هذه المذكرة نجد انفسنا قد انتهينا من استعراض ومناقشة موضوع مهم وشائك، لم ندعي اننا قد جلبنا حلا نهائيا او حتى اننا استطعنا التفوق على السابقين لكننا اجتهدنا ما وسعنا من الجهد محاولة الوصول ما رأيناه حق، وتناولنا الموضوع بشكل شامل دون الوقوع في التطويل او الاخلال بالمعلومات، ندرك اننا انسانيون وقد نخطئ ولكننا نرجو من الله العفو السلامة فما كان صوابا فهو من الله عزوجل وما كان من خطأ فهو من نفسي، نحن هنا فقط محاولة عابرة في بحر العلم نسعى لنشر الوعي والمعرفة بكل تواضع واحترام لعقول الآخرين، فلنتذكر دائما ان الكمال لله وحده ونحن هنا فقط نسعى لتحقيق الاستفادة والنمو الشخصي والمهني.

# الفصل الأول: إرهاصات الحركة الإصلاحية في تونس قبل فرض الحماية (1881)

- المبحث الأول: مفهوم الحركة الإصلاحية
- المبحث الثاني: الظروف العامة في تونس قبل فرض الحماية
- المبحث الثالث: أسباب بروز الحركة الإصلاحية في تونس في النصف الثاني من القرن 19

بعد دخول الاتراك العثمانيين البلاد التونسية سنة 1574 أصبحت تونس تحت لواء الدولة العثمانية التي يتولى حكمها الباشا والداي والإنكشارية ثم خضعت البلاد التونسية لتطورات تاريخية وتداول على حكم تونس بعض القادة وجعلوا الحكم وراثي فيما عرف تاريخيا بالأسرة المرادية والحسينية، خلال هذه الفترة كان هناك استقرار في البداية ولكن سرعان ما تدهورت الأوضاع الداخلية في تونس مما أدى الى تنشيط فكرة الإصلاح خلال القرن التاسع عشر.

كانت هناك عدة عوامل داخلية وخارجية التي دفعت نحو التغيير والإصلاح في تونس وساعدت في ظهور محاولات إصلاحية في مجالات مختلفة اقتصادية وسياسية واجتماعية وثقافية، تضمنت العوامل الداخلية الصعوبات الاقتصادية والاجتماعية التي كانت تواجهها البلاد بالإضافة الى التطورات السياسية والثقافية التي حصلت في العالم الخارجي واثرت على الوعي الجماهيري في تونس.

ظهرت محاولات إصلاحية في مجال الاقتصاد، حيث تم تعزيز الصناعات التقليدية وتنمية الزراعة والتجارة، وعلى صعيد السياسة تطورت نقابات وجمعيات المجتمع المدني، اما على الصعيد الثقافي فقد تم تنظيم نشاطات ثقافية متنوعة وتطوير التعليم وترويج الفنون والآداب.

تلعب هذه المحاولات الإصلاحية دورا هاما في تحسين الحالة العامة في تونس وتعزيز التنمية المستدامة ومع ذلك لا يمكن انكار ان التحديات مازالت تواجه البلاد في سبيل تحقيق التقدم والاستقرار الكامل.

وبالرغم العديد من الدراسات التي تناولت موضوع الحركة الإصلاحية في تونس خلال القرن 19 للميلاد الا انه هناك بعض الإشكاليات التي مازالت يكتنفها الغموض والحيرة لدى الدارس والباحث ومن هنا يمكننا طرح التساؤل التالي:

ماذا نقصد بالحركة الإصلاحية؟

وماهي العوامل التي أدت الى ظهورها في الايالة التونسية؟

## ❖ المبحث الأول: مفهوم الحركة الإصلاحية في تونس

### ✓ المطلب الأول: تعريفها لغة

لقد ظهرت عدة تعريفات للإصلاح في مختلف الموسوعات والمجالات من مفهوم لآخر، ويقدم الباحث عبد الله نجم عمر تعريفا لغويا للإصلاح حيث عرفه بانه مكافحة للفساد، او عكس الشيء ورجل صالح في نفسه يأتي من قوم صالحين ومصلح نفسه، والإصلاح هو عكس الفساد، أصلح هذا الشيء أي أقامه، وهي مشتقة من كلمة (الصلح) التي تعني ازيل الفساد، وصلح العداء والشقاق بينهما .[1]

جاء في معجم مقاييس اللغة ان استصلح الامر بدلا من استفسد، والصلاحية تعني الحالة التي يكون فيها الشيء صالحا، والمصلح هو الشخص الذي يقوم بالفعل، والمصلحة هي ما ينتج عن الفعل ويحث على الصلاح، ومنها يشتق ما يتعاطاه الانسان من الاعمال التي تعود بالنفع عليه وعلى قومه بالمصلحة .[2]

ونجد أيضا موسوعة كشاف إصلاحات العلوم والفنون التي عرفت الإصلاح بانه فعل يتم اجراؤه من خلال إعادة وضع الأشياء في حالة صالحة، وهو عكس الفساد والخلاف، ويعادل الإصلاح استعادة الشيء الى حالته المتوازنة من خلال إزالة العيوب والتلف التي تعترضه .[3]

---

[1] عبد الله نجم عمر، "**مفهوم الإصلاح في القران الكريم**"، مجلة ديالي، العدد الثامن والعشرون، كلية التربية، الاصمعي, 2008م، ص01.

[2] ابي الحسين احمد بن فارس بن زكريا، "**معجم مقاييس اللغة**"، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت,2000م، ص 848.

[3] محمد علي التهاوني "**موسوعة كشاف إصلاحات والفنون والعلوم**", تقديم رفيق العجم وعلي دحروج، مكتبة لبنان، ج 2 ص 221.

ويشير مختار الصحاح الى ذلك "أصلح" أي إعادة الشيء الى حالة جيدة وإزالة العيوب والاعطاب والتلف، ومن امثلة الإصلاح: اصلاح السيارة وإصلاح الثوب والساعة.[1]

والعديد من المعاجم اللغوية يختصر لفظ الإصلاح في كونه يقابل الفساد، ولا يفرد العديد من المساحات توضيحا لهذا المفهوم، فقد ذهب المفكر عابد الجابري[2] بقوله:" إن المعاجم العربية القديمة لا تعطينا أي تعريف للإصلاح غير القول بالإصلاح ضد الفساد، وإذا بحثنا عن معنى الافساد في تلك المعاجم ستعيدنا الى الإصلاح بوصفه الافساد ضد الإصلاح، ونجد ان الإصلاح هو تغيير حالة الفساد او ازالته عن الشيء.

### ✓ المطلب الثاني: تعريفها اصطلاحا

مفهوم الإصلاح شديد التعقيد وتعتمد تعريفاته على الأيديولوجيات المتنوعة ووجهات النظر المختلفة للأفراد والجهات المعنية، واحد من أبرز المفاهيم التي قدمت تعريفا للإصلاح هو محمد بن الطاهر بن عاشور[3]وقال:" إن الإصلاح هو عملية جعل الشيء صالحا وذلك يتطلب وجود توافق بين العثور على الشيء الصالح وتحويل المعيب الى صالح ." [4]

---

[1] أبي بكر بن عبد القادر الرازي، "**مختار الصحاح**", دار الكتب العلمية، بيروت,1990م، ص 157.

[2] **عابد الجابري**: فيلسوف ومفكر مغربي، ولد بمدينة "فجيج" سنة 1936, حصل على ديبلوم الدراسات العليا في الفلسفة سنة 1967, عمل أستاذ للفلسفة والفكر العربي المعاصر في كلية الآداب بالرباط سنة 1967, توفي سنة 2010 بالدار البيضاء المغرب. ينظر: حمادي النوي، "**البنية المنطقية لنقد العقل العربي والإسلامي عند كل من محمد عابد الجابري ومحمد اركون**"، ص ص 285،286.

[3] **الطاهر بن عاشور** : الشيخ محمد الطاهر بن محمد بن عاشور, ولد في تونس سنة 1269هـ الموافق ل 1879م من اسرة علمية عريقة تمتد أصولها الى بلاد الاندلس, كان عالما لغويا وعضوا مراسلا في مجمع اللغة العربية في دمشق والقاهرة وكان متقنا للغة الفرنسية تولى مناصب علمية وإدارية بارزة كالتدريس والقضاء والافتاء وتم تعيينه شيخا لجامع الزيتونة, توفي في 13 رجب سنة 1393هـ الموافق ل 1973/8/12, ينظر : عادل امين حافظ فرج, "**مكانة الفلسفة والمنطق عند الشيخ الطاهر بن عاشور**", مجلة الجمعية الفلسفية المصرية، العدد السادس والعشرون، السنة السادسة والعشرون، ص 72،73.

[4] محمد الطاهر بن عاشور "**تفسير التحرير والتنوير**", مج 2, الدار التونسية للنشر، تونس,1884, ص 154.

ان هذا التعريف يشير الى ان الإصلاح ليس مجرد اصلاح الأشياء المعيبة فقط، بل ينبغي ان يشمل أيضا تحسين وتطوير الأشياء الموجودة بالفعل وجعلها أفضل وأكثر صلاحية وبالتالي الإصلاح جهودا كبيرة وتفكيرا استراتيجيا للوصول الى النتائج المرغوبة.

لقد ورد مفهوم الإصلاح في عدة مواضع، منها القران الكريم في قوله تعالى:**{ لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نوتيه اجرا عظيما}**[1].سورة النساء '114'

ويعرف المعجم السياسي الإصلاح بانه "التغيير الاجتماعي المحدود الذي يشمل تحسينات تدريجية تقوم بها القيادة السياسية سواء من الناحية الاجتماعية او السياسية او الثقافية او الاقتصادية، وضمن خطة قد تكون لمدة خمس سنوات او عشر سنوات او حسب الظروف المطلوبة لهذا الإصلاح.[2]

كما جاء الإصلاح دالا على الفساد في قوله تعالى:**{ ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها**[3]**}** . سورة الأعراف '55 '

وورد مقترنا بالكفر والايمان في قوله تعالى: **{وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين فمن امن وأصلح فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون}**[4]. سورة الانعام '49 '

إضافة الى قوله تعالى:**{ وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا انما نحن مصلحون}** .[5]سورة البقرة'11'

[1]سورة النساء، الآية 114, برواية ورش عن نافع.

[2]وضاح زيتون "**المعجم السياسي**"، دار أسامة المشرق الثقافي، عمان, 2010,ص 36,35.

[3]سورة الأعراف، الآية 55, برواية ورش عن نافع.

[4]سورة الانعام، الآية 49,برواية ورش عن نافع.

[5]سورة البقرة، الآية 11,برواية ورش عن نافع.

كما جاء دالا على النموذج البشري من خلال قوله تعالى:{ **وقطعناهم في الأرض اما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون**[1]} . سورة الأعراف'168'

وفي قوله تعالى:{ **قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم ان الله عزيز حكيم**[2]} . سورة البقرة'220'

كما جاء أيضا معنى الإصلاح في السنة النبوية الشريفة: فعن ابي سعيد الجدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "**من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**". رواه مسلم

فمعنى الحديث ان المنكر أي (الفساد) هو ما أنكره الشرع وما حرمه الله سبحانه وتعالى ورسوله الكريم ومنه قول الرسول صلى الله عليه وسلم "من رأى منكم منكرا... الى آخر الحديث", فذلك فيه دعوة الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر أي بمعنى الدعوة الى اصلاح المفاسد في المجتمع بشتى أنواعها .[3]

## ❖ المبحث الثاني: الظروف العامة في تونس قبل فرض الحماية

### ✓ المطلب الاول: سياسيا واقتصاديا

#### 1. الظروف السياسية:

[1] سورة الأعراف، الآية 168, برواية ورش عن نافع.

[2] سورة البقرة، الآية 220, برواية ورش عن نافع.

[3] يحي بن شرف الدين النووي، "**شرح متن الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية**",ط4, مكتبة دار الفتح، دمشق,1984, ص91.

حكمت تونس في مطلع القرن الثامن عشر الاسرة الحسينية، والتي تنتسب للحسين بن علي[1]، بدأت هذه الاسرة بحكم تونس في عام 1705م، وقد اتفق المؤرخون التونسيون بما فيهم المؤرخ حسني عبد الوهاب على تقسيم حكم هذه الاسرة الى فترتين مختلفتين، فالمرحلة الأولى بدأت من سنة اعتلاء الباي حسين بن علي للحكم في تونس وانتهت بعد احتلال فرنسا للجزائر في عام 1837م، وهذا هو نهاية حكم الباي مصطفى، وفي هذه الفترة عمل الباي حسين بن علي على تطوير تونس وتعزيز نفوذها.

أما المرحلة الثانية فبدأت حينما تم تسليم الحكم للباي أحمد بن مصطفى, واستمرت حتى فرض الحماية الفرنسية على تونس في منتصف عام 1881م, خلال هذه المرحلة شهدت تونس تحولات كبيرة وتطورات عديدة تحت حكم الباي أحمد, تأثرت تونس بشكل كبير بزمن الحكم تحت الاسرة الحسينية حيث شهدت توسعا في نفوذها وتطورا اقتصاديا وثقافيا واجتماعيا وتعد هذه الفترة من المحطات الهامة في تاريخ تونس, حيث تم استعادة الاستقلال بعد فترة طويلة, ومن مميزات هذه المرحلة الهامة والتي شهدت تحرشا أجنبيا منقطع النظير، أن وضع الحكام كان صعبا للغاية, حكم المشير أحمد باشا في هذه الفترة والتي استمرت من عام (1837-1855) كان مليئا بالتحديات تميزت فترة حكمه بالانفتاح على الغرب والسعي للتقدم والازدهار, قام بتنظيم الجيش وتحديثه بناء على أسس عسكرية حديثة، أنشأ المدرسة الحربية في باردو عام 1840م, وركز على تطوير الأسطول البحري، قام أيضا ببناء مدينة المحمدية عام 1843م، وانهى تجارة الرق عام 1846م.

أما حكم محمد باي الثاني التي تراوحت فترة حكمه فيما بين (1855م-1859م) فكانت فترة قصيرة لكنها شهدت بعض التطورات، بعد ذلك حكم الباي محمد الصادق

[1] هو الأمير **حسين بن علي تركي** ولد في 1080هـ/1669م بجزيرة كريت، وفد الى تونس في زمن مضى، تقلد في عدة مناصب آخرها كاهية الباشا إبراهيم الشريف، قبل ان يصبح بايا على تونس، يعد مؤسس حكم الاسرة الحسينية عام 1705م توفي عام 1153هـ/1740م، أنظر ابي عبد الله محمد بن عثمان سنوسي، "**مسامرات الظريف بحسن الشريف**"، تح: التيفر محمد الشاذلي، ج1,ط1,دار الغرب الإسلامي، بيروت,1994,ص 88-92.

لفترة طويلة(1859م-1881م)[1] في هذه الفترة شهدت تونس تحولات هامة في العديد من المجالات السياسة والاقتصادية والاجتماعية بشكل عام, فإن هذه المرحلة شهدت تحسينات ملموسة في هيكل الحكم وتطور الجيش والاسطول البحري, بالنظر الى هذه المميزات نستطيع ان نقول ان هذه الفترة شهدت تقدما وتحسينا في عدة جوانب في تونس, تم تحقيق تقدم كبير في الحكم والادارة, ووضعت الأسس للتطور والتقدم في المجتمع, باشر الباي مشير محمد الثاني بتطبيق سلسلة من الإصلاحات في الحكم الذي يهدف الى تحسين الحياة السياسية في البلاد, قام الباي بوضع دستور للبلاد يعرف بقانون عهد الأمان, والذي يتكون من احدى عشر مادة أساسية, اهم هذه المواد هي المادة التي تسوي بين جميع سكان البلاد بغض النظر عن اختلافاتهم الاجتماعية و الدينية, وقد نص القانون ايضا على حقوق وواجبات المواطنين, كما تضمن القانون انشاء محاكم جنائية لتنظيم المجتمع وفقا للقانون, ولم يكن هذا القانون من وضع الباي لوحده فقد تم توثيقه من قبل مجموعة من الافراد الموثوق بهم, بما في ذلك مؤرخ الدولة الحسينية أحمد بن أبي الضياف الذي كان وزيرا, في ذلك الوقت قد استوحى الباي بعض الاصلاحات الاخرى من التنظيمات الخيرية العثمانية.[2]

## 1.الظروف الاقتصادية:

لقد كان لتدهور الأوضاع السياسية تأثير خطير على العديد من المجالات وخاصة الاقتصادية, فقد عاشت البلاد ظروفا صعبة نتيجة لتدخل النفوذ الأجنبي وسيطرته على القرارات الاقتصادية, وقد أدى ذلك الى تدهور الأداء الاقتصادي وضعف الاستقرار المالي, وكان ذلك يؤثر سلبا على سير الاعمال والاستثمار وتدفق الأموال الى البلاد, يمكن القول ان الأوضاع السياسية السيئة كان لها تأثير

[1] حسن حسني عبد الوهاب،" **خلاصة تاريخ تونس**", تقديم حمادي الساحلي، دار الجنوب، تونس, 2015م، ص 139.

[2] المحامي محمد فريد بك، "**تاريخ الدولة العثمانية**", تحقيق احسان حقي، ط1, دار النفائس، بيروت، لبنان, 1981,ص 265.

كبير على الوضع الاقتصادي في البلاد, ولتحقيق التنمية الاقتصادية وتحسين الأوضاع المالية, يجب ان يتم حل النزاعات السياسية وتوفير الاستقرار السياسي, وتعزيز الشفافية ومكافحة الفساد في البلاد.

**أولا: الزراعة**

تعتبر الزراعة قطاعا حساسا للغاية في تونس, حيث ظل متدهورا, باستثناء الجهات الشرقية تعزى هذه المشكلة الى عدة أسباب منها: وفرة الأراضي الخصبة, حيث يتم زراعة الحبوب وتربية الماشية ومع ذلك لاتزال هذه المزارع تعتبر تقليدية وغير قادرة على تلبية الطلب المحلي او التصدير, يجب ان نشير الى ان انتاج الحبوب يتراوح بين المليونين وثلاثة ملايين قنطارا سنويا في افضل الحالات, يجب ان نذكر أيضا ان جزءا كبيرا من الأراضي كان تحت سيطرة كبار الموظفين وحاشية الباي, وكانوا يقومون بتأجير هذه الأراضي للفلاحين الصغار, وظل نظام الخماسين سائدا في هذه الفترة، خاصة عند سن قوانين في سنتي 1875/1874م تنص على استغلال هذه الفئة أبشع استغلال.[1]

وفي الجزائر حدث أحداث مشابهة لتللك التي وقعت في تونس قبل الاحتلال الفرنسي، وذلك لأن اليهود كانوا يستفيدون من ثروات البلاد، وأصبح دورهم واضحا بعد ثورة علي بن غداهم، فبعد ان اتبعت سلطات الباي سياسة قمعية أجبرت العديد من أصحاب الأراضي على بيعها او الاستدانة من اليهود.[2]

في الساحل تحتل زراعة الزيتون أهمية كبيرة, فقد وصل انتاج زيت الزيتون الى ما يقارب 140 الف هليكوبتر في عام 1880 في هذه الفترة كان اجمالي انتاج البلاد يفوق 200 الف هيكتولتر[3]، وفي سابقة خطيرة عمدت الدولة على بيع كميات هائلة من زيت الزيتون للدول الأوروبية قبل

[1] علي المحجوبي، "**انتصاب الحماية الفرنسية بتونس**", ترجمة عمر بن ضو، دار سراس للنشر، تونس, 1986م، ص 17-18.
[2] نفسه، ص 18.
[3] نفسه، ص 18.

الإنتاج[1]، بالإضافة الى ذلك انتشرت زراعة النخيل في الجنوب حيث وصل انتاج التمور الى 200 الف قنطار وبسبب طبيعة الحياة التي تعيشها القبائل في الجنوب حيث ينتقلون بحثا عن الماء والكلأ لذا تأثر الإنتاج الحيواني بتلك الأجواء, وعلى الصعيد الصناعي كان انتاج الجلود والصوف مصدرا هاما للصناعات التقليدية وخاصة في مجال النسيج, بما في ذلك صناعة الاقمشة والشاشية.[2]

**ثانيا: الصناعة**

على الرغم من وجود كميات كبيرة من المواد الأولية المتاحة للصناعة في تونس، الا ان هذا القطاع يعاني من تراجع وانحدار بسبب الطابع التقليدي للصناعات التونسية وتفشي السلع الاوروبية في السوق واحدة من الصناعات التقليدية المهمة في تونس هي صناعة النسيج، حيث تشتهر البلاد بإنتاج الاقمشة والشاشية التونسية، كما تشمل الصناعات التقليدية الاخرى الصناعة التعدينية والصباغة والدباغة والعطور، ويجب ان نذكر ان زيادة نظام الامتيازات الممنوحة للتجار الأجانب ساهمت في تدهور حالة الصناعة في تونس .[3]

**ثالثا: التجارة**

بحكم الانفتاح الذي شهدته تونس على الخارج تأثرت التجارة في البلاد وزاد تواجد التجار الأجانب ورجال الاعمال, وعلى الرغم من محاولة البايات لتنظيم الحركة التجارية منذ حكم حمودة باشا في فترة 1782-1814م إلا انهم فشلوا بسبب الامتيازات التي تحولت الى حقوق, وتمكن بعضهم من فرض رسوم على البضائع الأجنبية بنسبة 11%, ولكن هذا الامر لم يستمر طويلا فقد وقعت التجارة الخارجية للبلاد تحت سطوة التجار الاجانب من المارسيلين والجنوبيين واليهود وغيرهم,

[1] خليفة الشاطر وآخرون، "**تونس عبر التاريخ (الحركة الوطنية ودولة الاستقلال)**", ج 3, مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، المكتبة الجامعية، تونس, 2005, ص 8.

[2] علي المحجوبي، المرجع السابق، ص 18.

[3] نفسه، ص 18.

كما تعرضت التجارة الخارجية للتأثيرات السلبية نتيجة استفادتهم من التسهيلات الجمركية المفروضة في البلاد.[1]

[1] محفوظ سعيدان، "**الواقع الاقتصادي للمجتمعات المغاربة في العهد العثماني من مطلع القرن 18 حتى 1830م**", مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر,2012م، ص263-264.

**رابعا: الحالة المادية**

تعاني الحالة المادية في تونس من تفاقم الاستدانة وتدهور الخزينة العامة, وذلك بسبب زيادة الانفاق على الجيش وكبار الموظفين والخدمات العامة, وبسبب هذا التفاقم اضطرت البايات للاقتراض من الدول الأوروبية, مما جعل مستقبل البلاد معلقا بين ايدي هؤلاء الدائنين لذلك اضطرت الحكومة الى زيادة قيمة الضرائب للتغلب على الازمة المالية, بعد ما كانت السياسة المنتهجة في تونس تتمثل في استيراد السلع الفخمة والانخراط في مشاريع غير مكلفة, مما أدى الى تدهور وتفاقم الازمة المالية للإيالة[1], كما تم رفع قيمة الضرائب مما اثقل كاهل طبقات كبيرة في المجتمع التونسي, ولابد ان نشير الى ان الضرائب التي فرضت الحكم وقادة الدولة القنصلية, وكانت هذه الضرائب جزءا من خطة أدت بالبلاد الى هذا الوضع المأساوي, حيث اضطر الباي الى الاستدانة من البنوك الأوروبية بفوائد ربوية كبيرة, وكان الحل الذي رأوه هؤلاء القادة الرجوع الى زيادة قيمة الضرائب، ومن بين هذه الضرائب تم رفع قيمة ضريبة المجبى وإعادة فرضها .[2]

واحدة من القضايا المهمة التي اثرت بشكل سلبي على الوضع المتأزم هي تأخر دفع مرتبات الدولة وجنود الجيش, كان العامة يلاحظون بأم أعينهم الحياة الفاخرة والثورة الغير محدودة التي كان يعيشها كبار المسؤولين في الدولة, هي التأخر في دفع المرتبات له تأثير سلبي على الموظفين و الجنود, حيث يجدون صعوبة في تلبية احتياجاتهم الأساسية وتوفير سبل العيش اللائقة, ويجب ان تكون دفعة المرتبات في الوقت المحدد اولوية للحكومة لضمان استقرار الموظفين ومعنوياتهم, وبدون هذا قد يتفاقم الوضع المتأزم الحالي بشكل اكبر ويؤثر سلبا على العمل الحكومي والقطاع العام بشكل عام.[3]

---

[1] خليفة الشاطر، المرجع السابق، ص 11-12.

[2] ثامر الحبيب، "**هذه تونس**", مطبعة الرسالة، القاهرة, 1948م، ص 25.

[3] عبد الجليل التميمي، "**بحوث ووثائق في التاريخ المغاربي**", تقديم زوبير منتران، ط1, الدار التونسية للنشر، تونس, 1972م، ص72.

## ✓ المطلب الثاني: الظروف الاجتماعية والثقافية

المجتمع التونسي يتكون من فئات مختلفة من السكان منهم البدو والحضر والبربر والعرب والاتراك والزنوج والاندلسيين والأوروبيين واليهود، وفي العصر الحديث كان المجتمع التونسي مجتمعا قبليا ولكن عندما سيطر العثمانيون على الحكم فتح المجتمع ابوابه للأجانب بما في ذلك الأوروبيين، وقد ساهمت هذه التنوعات الثقافية والجغرافية في تنوع وزحمة الحياة الثقافية في البلاد.

### 1.الظروف الاجتماعية:

يمكن تصنيف الفئات الأخرى في المجتمع التونسي على النحو التـــــالي:

•**الاتراك** : الذين كانوا من الاعيان والموظفين من كبار ضباط الدولة العثمانية، واقتصر وجودهم على مناطق محددة مثل مدينة تونس والمهدية.[1]

•**الاندلسيون** : الذين هاجروا من شبه الجزيرة الايبيرية بعد سقوط غرناطة سنة 1492م وبقي تيار الهجرة الاندلسية المورسكية نحو تونس الى غاية سنة 1609م قرار الطرد النهائي.[2]

•**الأوروبيون** : الذين كانوا بصفة عامة تجار وممثلين دبلوماسيين لبلادهم وينتمون لجنسيات مختلفة من أوروبا كفرنسا وإيطاليا واسبانيا والإنجليز ومالطا وصقلية.[3]

•**الزنوج** : الذين كانوا عبيدا يعملون في الزراعة والصناعة في المناطق الجنوبية للبلاد ويشتغلون كخدم في المصانع والمزارع وحتى الموانئ، وفي وقت لاحق أصبح منهم فلاحين صغار.[1]

---

[1] محمد الهادي الشريف، "**تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال**", تح: محمد الشاوش، محمد عجينة، ط3, دار سراس للنشر، تونس، (د.ت)، ص 69.

[2] محمد حسن جوهر، "**تونس**", ط1, دار المعارف، القاهرة، مصر,191م، ص57.

[3] نقولا زيادة، "**تونس في عهد الحماية**", دار الاهلية للنشر، القاهرة، مصر,1963م، ص 75.

•**اليهود**: من بينهم من عاش في تونس منذ القدم ويعملون بشكل رئيسي في التجارة, وهناك من وفد اليها مع الهجرات الاندلسية فقط, وعلى هذا الأساس تنقسم الطائفة اليهودية الى قسمين وهما اليهود التوانسة ويمثلون الأغلبية, والقسم الثاني وهم الأقلية ويذكر ان اغلبهم يحملون جنسية إيطالية[2], الى جانب ذلك تأثر السكان في تونس بظروف اقتصادية وصحية صعبة خلال القرن التاسع عشر تفاقم الفقر والمجاعة أخطرها مجاعة 1876م, وانتشرت الامراض والاوبئة مثل الطاعون ومرض الكوليرا والتيفوس[3], وحدثت أيضا مجاعات كبيرة اثرت سلبا على الحياة الاقتصادية وأدت الى وفاة العديد من السكان, وبسبب هذه الظروف القاسية كان المشهد الاجتماعي في تونس قبل فرض الحماية مسيطرا عليه البؤس و الحرمان.

أما عن تعداد السكان في تونس لم يكن لدينا إحصاءات ثابتة، لكن من المؤكد أن عددهم في تراجع مستمر خلال القرن التاسع عشر، وهذا راجع لعدة أسباب منها الفقر وانتشار الامراض ويقال ان عددا من التونسيين توفى، وقدر هذا العدد بخمس السكان.[4]

## 2. الظروف الثقافية:

يعد المشهد الثقافي جزء لا يتجزأ من الحياة الاجتماعية في تونس, فالثقافة الشخصية للأفراد والاسر تتأثر بشكل كبير بالحياة الاجتماعية, وبالتالي تؤثر في ثقافة المجتمع بأكمله, وقد كان للتعليم دورا فعالا في هذه العملية, حيث ترتبط الحياة الفكرية في تونس بالمؤسسات التعليمية والتنظيمات المختلفة المعنية بهذا المجال, لقد لعب الفقهاء و شيوخ الزوايا دورا بارزا في هذا المجال في المدن والقرى على حد سواء,

[1] عبد الهادي التميمي، "**المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي**", ط1,بيت الحكمة، (د.ت)، ص 400.

[2] محمد حسن جوهر، المرجع السابق، ص57.

[3] محمد بيرم الخامس، "**صفوة الاعتبار بمستودع الامصار والاقطار**",ج2,دار صادر بيروت, 1985م، ص 35.

[4] احمد عبد السلام، "**مواقف إصلاحية في تونس قبل فرض الحماية**", ط1, الشركة التونسية للنشر والتوزيع، تونس, 1987م، ص18.

بالإضافة الى ذلك, كانت المدارس القرآنية منتشرة في جميع المناطق لتعليم القرآن وعلوم الدين واللغة, وقد تميزت بمستوى تعليمي عال وانتجت جيلا من الطلاب ذوي كفاءة في هذه المجالات, أما في مجال العمارة والفن و الموسيقى, فقد كانت لها تأثير كبير على مختلف فئات المجتمع التونسي, بما في ذلك الاتراك والاندلسيين وهذا يعكس التنوع الثقافي الذي يميز تونس و تأثرها بالعديد من الثقافات المختلفة.[1]

ساهم حكام تونس من البايات في تأسيس المدارس بشكل كبير, فقد أسس مراد الثاني المدرسة المرادية, في حين أسس محمد باي ست مدارس وبنى حسين بن علي المدرسة الحسينية, وكان تمويل هذه المدارس يأتي من طرف الدولة في بعض الأحيان, ولكن كانت أملاك الأوقاف الإسلامية هي الممول الرئيسي لهذه المدارس, قدمت هذه المدارس الدعم للمعلمين والطلاب من حيث الأجور والإقامة والتغذية, نتيجة لذلك, بدأت التأثيرات الثقافية و العلمية تظهر على الشعب بشكل واضح, ولكن كانت واضحة بشكل اكبر في الاعيان والموظفين قد يتم ملاحظة هذا من خلال الزيارة التي قام بها احمد باشا الى فرنسا للاستفادة من الحضارة الأوروبية وتطوير الثقافة التونسية وقد صاحب ذلك تأسيس المكتبة الاحمدية[2] وأولوية العناية كانت هناك لجامع الزيتونة وتزويد الكتب المختلفة لمكتبة القيمة.[3]

وهكذا كان انتشار المدارس في تونس بشكل ملفت للانتباه، واشتهرت ببرامجها العلمية المتقدمة ومحافظتها على القيم الوطنية واللغة والعادات والتقاليد ويعد جامع الزيتونة

[1] ناصر الدين سعيدوني، "**الأوضاع الاقتصادية والثقافية لولايات المغرب العثمانية**", جامعة الكويت, 2010م، ص ص 72، 74.

[2] تأسست عام 1840م، على يد الباي احمد الأول، حيث تتشكل من عدة مكتبات خاصة، كان الباي قد اشتراها، من أهمها كتب حسين خوجة واحمد بن ابي الضياف وغيرهم، تعد صرحا علميا ساهم في بعث الحياة العلمية والثقافية في البلاد.

[3] احمد بن ابي الضياف، "**إتحاف اهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**", م2, ج4,تح: لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، الدار العربية للكتاب، د ت ن، ص 76.

بحاضرة تونس العاصمة أحد أفضل الأمثلة على ذلك، وكان له فروع في مدن تونسية أخرى، وظهرت المدارس السبعة بالحسينية والمدرسة المستنصرية، وامتدت المدارس والزوايا في ربوع الوطن وصاحبت كل زاوية مدرسة في مدن كثيرة كالقيروان والمهدية وقفصة وقابس وغيرها، وشهدت تونس بروز العديد من العلماء والفقهاء مثل: **"محمد بن عاشور وإبراهيم الرياحي."**[1]

في وقت لاحق أدركت الحكومة التونسية ان الميدان العلمي في البلاد متأخر عن الحضارات الأخرى وان الطريقة التقليدية لاكتساب المعرفة لاتزال سائدة، لذا قررت استيعاب النماذج الأجنبية من المدارس والجامعات المدنية والعسكرية بهدف الازدهار والتطور، تم صدور قانون عام 1842م، لتنظيم الدروس وتحسين أوضاع المعلمين والطلاب وتطبيق نظام أكثر تطورا مثل نظام الدوام المستمر، وتم توسيع جامع الزيتونة وبناء المدرسة الصادقية عام 1875م كنماذج للتحديث العلمي والعصري[2].

سعى خير الدين من خلال اصلاحاته في هذا الاتجاه لتنمية نخبة قادرة على تحقيق التغيير وإدارة شؤون البلاد، عبر تعزيز العلوم العصرية والتقاليد الإسلامية، قام أيضا بإرسال بعثات علمية الى الخارج لزيادة معارفهم وتحسين تجربتهم على ارض الواقع.[3]

أما عن الصحافة فظهرت بفضل التطور في صناعة الطباعة ويعود الفضل في ذلك الى الباي محمد الأول الذي أسس عدة مطابع رسمية في تونس، كانت هذه المطابع حجرية ولعبت دورا هاما في

[1] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 74,ص76.

[2] شاوش حباسي،"**الايالة التونسية قبيل فرض الحماية الفرنسية**", مجلة الدراسات التاريخية، العدد 6, جامعة الجزائر, 1992م.

[3] شوقي عطاء الله الجمل، "**المغرب العربي الكبير في العصر الحديث**"ط1, مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة, 1977م، ص 299.

نشر الاخبار والمعلومات، لا يمكن ان ننسى دور العلماء مثل محمد بيرم الرابع وأحمد خوجة والطاهر بن عاشور وغيرهم[1] الذين برزوا في ذلك الوقت.

وفي تلك الفترة بدأت تظهر الصحف والجرائد العربية في تونس، في عام 1860م صدرت اول صحيفة عربية إسلامية تحت عنوان "الرائد" بقيادة محمد بيرم الخامس، لقد حظيت هذه الصحيفة بتشجيع كبير من الناس من الناحية المالية والثقافية.[2]

بذل الحكام مجهودات كبيرة في تأسيس فروع لمدارس أجنبية في تونس، وكان التعليم ونشر المعارف من اولوياتهم، وتم تأسيس أكثر من عشرين مدرسة تهتم بهذا الامر.[3]

## ❖ المبحث الثالث: أسباب بروز الحركة الإصلاحية في تونس في النصف الثاني من القرن 19

### ✓ المطلب الأول: الأسباب السياسية والاقتصادية

#### 1. سياسيا:

كان تولي الحكم في الاسرة الحسينية في تونس بدءا من سنة 1705م، وكان يتم تحديد من يتولى الحكم بين الذكور وبحسب كبر السن ضمن سلالة الحسين بن علي، مؤسس الاسرة، في تلك الفترة كان البايات في تونس يعملون بشكل شبه مستقل عن الدولة العثمانية وكانوا يتبعونها فقط شكليا، كما كان للباي سلطة كبيرة في اتخاذ القرارات، حيث كان يجمع بين السلطتين التشريعية والتنفيذية ويمكنه التصرف في القضايا العدلية.[4]

---

[1] حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 142.

[2] شوقي عطاء الله الجمل، المرجع السابق، ص 299.

[3] شاوش حباسي، المرجع السابق، ص 144.

[4] علي المحجوبي، المرجع السابق، ص 8.

في بداية القرن التاسع عشر ومع وفاة حمودا باشا الذي كان يتمتع بشخصية قوية، تفاقمت الأوضاع الصعبة في تونس وشهدت ركودا وانحدارا في حين كانت الدول الأوروبية تحقق الازدهار والتقدم، وتضافرت العديد من العوامل التي جعلت تونس تدخل في أزمة سياسية.

بعد وفاة حمودا باشا شهدت تونس تدهورا في الأوضاع الداخلية السياسية، نتيجة للإضراب السياسي وسوء التداول بالسلطة من قبل أفراد عائلته الحسينية[1]، وقد اتسم الحكم الفردي للباي بالاستبداد وعدم الالتزام بالقوانين، إذا كان يتصف بطريقة حكم فردية واستبدادية[2]، وغالبا ما يقضي وقته في الحريم.

وخلال فترة حكم الباي، كان يضغط على الامراء والقادة السياسيين لقضاء معظم اوقاتهم في قصورهم أو في السجون، بهدف التخلص من المنافسين وتثبيت السلطة في يديه، والجدير بالذكر أن مستوى تعليم الأمراء الذين يتم تعيينهم من قبل الباي، لم يتعدى حدود القراءة والكتابة ودراسة بعض آيات القرآن والتمرن على الحركات العسكرية.[3]

عموما، تأثرت تونس سلبا بسبب تلك الأوضاع المضطربة والحكم الفردي الذي ميز حقبة حكم الباي حيث كان هناك نقصا في تطوير المؤسسات وكانت القوانين تفرض بشكل انتقائي وتجاهل فيها حقوق الانسان وحرياته.

يمكن القول ان تدهور الأوضاع الداخلية السياسية في تونس بعد وفاة حمودا باشا يعود الى الاضطراب السياسي وعدم تمكن أفراد عائلته الحسينية من التعامل بشكل سليم بالسلطة، كما

[1] الصحراوي قمعون، "**حركة الإصلاح والتحديث في تونس**", برقة للنشر والتوزيع، تونس,2012,ص 13.
[2] عبد الجليل التميمي، المرجع السابق، ص 20.
[3] جلال يحي، "**المدخل الى تاريخ العالم العربي الحديث**", د ط، دار المعارف، مصر, 1965م، ص 141.

لعب الحكم الفردي الاستبدادي للباي دورا سلبيا في تشكيل البنية السياسية وتطور المؤسسات في تونس.

تأثرت سياسة تونس الخارجية بشكل كبير بالظروف الدولية، حيث حاولت تونس في هذه الفترة التوفيق بين اتجاهين متناقضين في العلاقات الخارجية، فقد كانت تسعى للحفاظ على الارتباط بالدولة العثمانية في نفس الوقت كانت تتجه بقوة نحو فرنسا.

منذ عهد أحمد باي، تميزت سياسة البايات بالابتعاد عن الدولة العثمانية والاحتفاظ بالروابط الشكلية فقط، وذلك جاء تنفيذا لسياسة الاحتفاظ بالكيان الخاص بالدولة من دون الانفصال عن الإطار العثماني، وفي هذا السياق كانت فرنسا تسعى بشكل مستمر لإبعاد تونس عن سلطة الخلافة والحفاظ على الوضع القائم دون تغيير.[1]

تأتي هذه التطورات في اطار استراتيجية تونس في تعزيز علاقاتها الدولية وضمان استقلاليتها في ظل تداعيات الوضع العالمي والتحولات السياسية الكبيرة, وقد استطاعت تونس ان تقوم بتوجيه سياستها الخارجية بحكمة وحذر, من اجل تحقيق مصالحها الوطنية وتعزيز مكانتها على المستوى الدولي, ورغم ان البلاد كانت تحاول الحفاظ على الروابط مع الدولة العثمانية وفرنسا في نفس الوقت, إلا انها كانت تضع أولوية لتحقيق استقلاليتها والمحافظة على مصالحها, وقد نجحت في اتخاذ قرارات استراتيجية تتوافق مع عصرها ومتطلباتها السياسية و الاقتصادية.

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كانت الايالة التونسية تعاني من ضعف في ادارتها وتقصير في امكانياتها.

[1] الشيباني بن بلغيث، "**الجيش التونسي في عهد محمد صادق باي (1859م-1882م)**", د ط، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، صفاقس, 1995م، ص 65،66.

شعرت تونس في ذلك الوقت بضرورة الإصلاح وتحسين الوضع الذي وصلت اليه, ومع ذلك أدركت تونس أن العملية ستكلف الكثير من الأموال والنفقات وبالتالي قد تزيد هذه التكاليف من نفوذ الأجانب في البلاد, ومع ذلك قررت تونس البدء في عملية الإصلاح[1] رغم هذه المخاطر, وتمثلت جهود الإصلاح في تحسين البنية التحتية, وتطوير قطاعات الصناعة والتجارة وتعزيز قدرات الإدارة العامة, وبفضل هذه الجهود نجحت تونس في تعزيز قدراتها التنافسية وتحسين حياة المواطنين, وعلى الرغم من التحديات التي واجهتها تونس خلال هذه الفترة فإنها تمكنت من بناء أسس قوية للنمو والتطور المستقبلي.

### 2. اقتصاديا:

تأثرت الوضعية الاقتصادية في تونس بشكل سلبي نتيجة لتقهقر الأوضاع السياسية في الاسرة الحسينية، ويرجع التدهور الاقتصادي الى عدة عوامل بما في ذلك:

تغير ظروف التبادل الاقتصادي بين تونس وأوروبا, وانحطاط قيمة المنتجات التونسية المصدرة ونقل الأرباح للتجار الأوروبيين على سبيل المثال: كانت تونس تصدر العديد من المنتجات مثل الحبوب والزيوت, ولكن تغيرت الأوضاع السياسية وأثرت على علاقتها التجارية مع أوروبا, مما أدى الى تراجع قيمة المنتجات وفقدان تلك الأرباح, وهذا أدى في نهاية المطاف الى تضخم الواردات وانخفاض قيمة العملة المحلية, مما تسبب في صعوبات مالية تواجهها الحكومة والشرائح الفقيرة في المجتمع, وبالإضافة الى ذلك تسبب هذا الوضع في تأثير سلبي على خزينة البايلك والطبقات المسيرة قبل 1830.[2]

فقدت تونس أسطولها بسبب الضغوط المستمرة من الدول الأوروبية، وكان لذلك تأثيره على التجارة.

[1] جلال يحي، المرجع السابق، ص 242,241.

[2] محمد الهادي الشريف، المرجع السابق، ص 97,96.

بدأت تونس تفقد أهميتها التجارية نتيجة وصول التجار الأوروبيون الى مصادر المنتجات الافريقية عبر الاسطول البحري والتجاري التي أنشأوها على طول السواحل الافريقية الغربية، هذا التأثير أثر على الوضع الاقتصادي لتونس وأدى الى تراجع الأموال.[1]

كان هناك منافسة اقتصادية بين الدول الكبرى خاصة فرنسا وإيطاليا على تونس ورغبة كل منهما على احتلالها.[2]

تراجعت قيمة المنتجات المصدرة من تونس مثل الحبوب والزيوت والشاشية وتحولت التجارة الى يد التجار الأوروبيين مما أدى الى ارتفاع الواردات.

تدهور القوة الشرائية للعملة المحلية نتيجة للتضخم والصعوبات الاقتصادية التي عانت منها الخزينة التونسية.

الفلاحة في هذا الوقت كانت تعتمد بشكل رئيسي على زراعة الحبوب وتربية الماشية ومع ذلك كانت أجهزة الإنتاج قديمة جدا ولديها معدل منخفض للإنتاجية بحيث لا تتجاوز في أفضل الحالات معدلات الإنتاج في المناطق الزراعية الجيدة في الشمال خمسة أو ستة قناطير في الهكتار الواحد في السنوات الجيدة.[3]

مع انفتاح البلاد للمنتوجات والأفكار والتجار ومن ثم للمستثمرين الأوروبيين تعرضت البلاد لصعوبات مالية، حيث عجزت الدولة عن مواجهة هذه الصعوبات وتسببت هذه الصعوبات في اضطرار الدولة لفرض ضرائب على المواطنين مما زاد من أعباءهم المالية.

وبالإضافة الى ذلك حرمت الدولة المواطنين من مصادر الدخل الخارجية التي كانت متوفرة سابقا من تصدير منتجات البلاد.

---

[1] جلال يحي، المرجع السابق، ص238,237.

[2] إسماعيل أحمد ياغي،" **العالم العربي في التاريخ الحديث**", مكتبة العبيكان، الرياض, 1997 ص 241.

[3] عبد الهادي التيمومي وآخرون، المرجع السابق، ص97,94.

تدهورت الصناعة التونسية بسبب تقدم الصناعة الأوروبية، وخاصة صناعة النسيج التي كانت تعتبر مصدر رزق أساسي لعدد كبير من الناس، تقدمت الصناعة الأوروبية في استخدام التكنولوجيا الحديثة مثل الآلات العاملة بالبخار والتي تنتج بكميات كبيرة وفي المقابل كانت الصناعة التونسية تعتمد على الآلات القديمة، مما أدى الى تراجع جودة وكفاءة منتجاتها وانخفاض قيمتها.[1]

تعرضت الصناعة في تونس لضربة قوية حيث تراجع عدد المصانع الى أقل من ثلاثين مصنعا فقط وذلك بسبب تفشي تجاوزات النقل وفساد الطرقات.[2]

كما تراجعت العائدات المالية للدولة بسبب تعطل الموارد الخارجية التي كانت تأتي من التجارة البحرية لذا اتجهت الدولة نحو فرض المزيد من الضرائب على المواطنين.[3]

لمواجهة هذه الازمة لجأت الحكومة التونسية الى الاستدانة من الأسواق العالمية واستعانت بشركة ايرلنجي وهي أكبر شركة تمويل قروض في تونس والشريك الرئيسي لرئيس الوزراء مصطفى خرندار[4] ومع ذلك فقد مرت الدولة بأزمة مالية حادة ووضعت أموالها تحت وصاية اللجنة المالية الدولية التي تأسست في عام 1869م.[5]

بالاختصار يمكن القول ان تدهور الصناعة التونسية نتج عنه تقدم الصناعة الأوروبية واستخدامها التكنولوجيا الحديثة، بالإضافة الى مشاكل في النقل وتراجع الموارد الخارجية والتداين

---

[1] سمير أبو حمدان، **"خير الدين التونسي أبو النهضة التونسية"**, د ط، الشركة العالمية للإنتاج، بيروت, 1993م، ص 19.

[2] نفسه، ص 18.

[3] محمد الهادي الشريف، المرجع السابق، ص98.

[4] **مصطفى خرندار**: هو مملوك يوناني ولد سنة 1817م، وقد تربى بقصر أحمد باي، ليعينه فيما بعد وزيرا للمالية وقد اشتهر بمكره وسرقته الكثيرة، عزل عن السلطة عام 1873م، انظر: الشيباني نبيلغيث،" **الجيش التونسي في عهد محمد الصادق**", تق عبد الجليل التميمي، دار الغرب صفاقس, 1995م، ص68.

[5] محمد الهادي الشريف، المرجع السابق، ص 97.

الخارجي، هذه الازمات اثرت سلبا على الاقتصاد التونسي وزادت من الصعوبات التي تواجهها الحكومة في تحقيق التنمية الاقتصادية وتوفير فرص العمل للسكان.

✓ **المطلب الثاني: الأسباب الاجتماعية والثقافية**

1. **اجتماعيا:**

تعتبر تونس مثل غيرها من المجتمعات متنوعة من حيث السكان إذ يتكون المجتمع التونسي من مجموعة متنوعة من الأعراق والثقافات، بما في ذلك البدو والبربر والأتراك والزنوج وكذلك اليهود وبعض الجاليات الأوروبية، شهدت تونس ودول المغرب في فترات عديدة حوادث ناجمة عن انتشار الامراض وانخفاض مستوى المعيشة وحدوث المجاعات، وهو ما أثر سلبا على نمو السكان والرخاء الاقتصادي والتوسع العمراني.[1]

مع نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، بدأ التراجع في النمو الحضري وتناقص عدد السكان في الريف، تضاءلت الحواضر وانهارت ديموغرافيا، مما أدى الى تدهور مستوى المعيشة للسكان والمدن وتراجع حالتهم الصحية، هذا التحول الديموغرافي ساهم في تراجع النمو الاقتصادي والعمراني في المنطقة.

على الرغم من التحديات التي واجهت المجتمع التونسي، الا انه نجح في التكيف والتعايش المشترك بين مختلف الثقافات والاعراق، ويعتبر هذا التنوع والتلاحم الثقافي مظهرا رئيسيا للهوية التونسية وعلى مر السنين قد تحسنت الظروف المعيشية والاقتصادية في المجتمع، وشهدت المدن توسعا وتطورا عمرانيا ملحوظا.

[1] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص45.

إن تاريخ المجتمع التونسي يعكس التحديات والتغيرات التي شهدتها البلاد على مر العصور، ومع استمرار التحولات والتطورات في المستقبل، فمن المهم الاحتفاظ بالتنوع الثقافي وتعزيز الإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية من اجل التنمية والرخاء للشعب التونسي.

قد أدى التراجع الديموغرافي في تونس الى ظهور الجفاف, مما تسبب في انتشار الأوبئة والمجاعات، ومن بين الامراض التي تفشت بسبب ذلك هو وباء الكوليرا[1]،، الذي أودى بحياة خمس أهالي التونسيين، كان الباي وأعوانه يطبقون سياسة القمع والتعذيب، وذلك بسبب طمعهم في المال وافتراضهم ان الفقر سيمنع العصيان والثورة[2]، كان ضعف الصلات القبلية وانعدام الروابط القبلية في الأراضي التي تخضع للسلطة مباشرة والتي تقع بالقرب من المدن الكبرى[3] له تأثيره أيضا، قدرة الحكام على ربط سكان المدن والريف بالجهاز الإداري واخضاعهم لمتطلبات المؤسسة العسكرية كان لها تأثير كبير، حيث فرضوا سطوتهم على طوائف المدن وجماعات الريف من خلال استخدام الضغط الإداري على المدن والضغط العسكري على الريف.[4]

تأزم الأحوال في سنة 1867م، والتي وصفتها صحيفة الشهباء بأنها سنة المجاعة بسبب نقص الامدادات الغذائية وعدم وجود فرص عمل للسكان.[5]

### 2. ثقافيا:

قام المشير أحمد باي بتنظيم التعليم في جامع الزيتونة فقام بدعوة الأساتذة للقدوم الى تونس للتدريس في هذه الجامعة، هذا التداخل بين الثقافات الفرنسية والإسلامية ساهم في تطوير الثقافة في

[1] نفسه، ص ص 50,47.
[2] أحمد عبد السلام، المرجع السابق، ص18.
[3] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص71.
[4] نفسه، ص ص 69,64.
[5] أحمد عبد السلام، المرجع السابق، ص18.

البلاد، بعد ذلك تأسيس مكتبة الاحمدية بأمر من الباي في عام 1840م، وتعتبر احدى الاثار الثقافية الهامة في تونس، كما أصدر الباي أمرا عام 1846م بإغلاق سوق العبيد في العاصمة وعتق السيد الموجود في تونس، في تلك الفترة كان التعليم محدودا واقتصر على دراسة القرآن والأحاديث وبعض الفلسفة.

كان السكان بحاجة الى الحصول على تعليم جيد للتفاعل مع التغيرات في المجتمع.[1]

كانت الحياة العلمية في تونس تعاني من ضعف شديد حيث لم تكن الكتاتيب تلعب دورا مهما في نقل المعرفة والتعليم، بينما كانت المدارس والجامعات محدودة في برامجها ومحتواها، كما كان الطلاب يتلقون تعليما مكررا لمئات السنين يشمل تحفيظ القرآن والأحاديث ومبادئ النحو والصرف والفقه واللغة، وعلى الرغم من تخرج العلماء من جامع السنوية سنويا، الا انهم كانوا يحفظون القرآن والحديث النبوي والفقه والعقائد دون فهم عميق لها.[2]

وفي تلك الفترة كان معظم سكان تونس أميين ولا يعرفون بعض الأساسيات الإسلامية غير الشهادتين، وقد أنشأت الجاليات الأجنبية المقيمة في تونس مدارس خاصة بهم، وكان التعليم فيها مقتصرا على أبنائهم فقط وهذا الامر أدى بعد ذلك الى ان تصبح تونس تعرف بالتبعية للأجنبي في مجال التعليم والثقافة.[3]

على الرغم من هذا الضعف العلمي فقد شهدت تونس تطورا كبيرا في مجال التعليم والعلوم بعد الاستقلال وتم تحديث المناهج وتنويعها، وتوسيع قاعدة المعرفة بما يتماشى مع العصر الحديث، وتم توفير فرص التعليم للجميع، بغض النظر عن أصولهم أو ثقافتهم واستطاعت تونس ان تنتج جيلا من العلماء والباحثين المتميزين الذين ساهموا في تقدم المجتمع والعلوم على المستوى الوطني والعالمي.

---

[1] جلال يحي، المرجع السابق، ص242.

[2] سمير أبو حمدان، المرجع السابق، ص16.

[3] نفسه، ص17.

✓ في الأخير نستخلص ان الحركة الإصلاحية في تونس بدأت نتيجة لعدة أسباب متراكمة نلخصها فيما يلي:

تلك الأوضاع المتدهورة التي تعيشها البلاد ساهمت في توجيه الانتباه نحو الضرورة الملحة للتغيير، حيث تسبب الازمات الاجتماعية والاقتصادية في زيادة التوتر في المجتمع وتدهور الظروف المعيشية للمواطنين.

كانت الضرائب المجحفة المفروضة من قبل الحكام سببا آخر لبروز الحركة الإصلاحية، حيث استشعر المواطنون ظلمهم واستغلالهم المالي الذي يعانون منه، تعكس تلك الضرائب الثقل الذي يحمله الشعب والصعوبات التي يواجهونها في تلبية احتياجاتهم الأساسية.

تتلخص الحركة الإصلاحية في مطالبة التغيير السياسي والاقتصادي الذي يعكس مصالح المواطنين ويحقق العدالة الاجتماعية.

يسعى النشطاء الإصلاحيون لخلق نظام يراعي حقوق الانسان ويعمل على تحسين حياة الناس في تونس.

رغم التحديات التي تواجههم فإن الحركة الإصلاحية استطاعت ان تجمع قوتها وتحقق تقدما ملحوظا في تحقيق أهدافها، تعتبر هذه الحركة إشارة واضحة على إرادة الشعب التونسي في الوصول الى مستقبل أفضل وبناء مجتمع يستند على المساواة والعدالة.

## الفصل الثاني: رواد الحركة الإصلاحية في تونس واسهاماتهم الحضارية

- المبحث الأول: محمد صادق باي (1859م–1882م)
- المبحث الثاني: محمد بيرم الخامس (1840م–1889م)
- المبحث الثالث: خير الدين التونسي (1849م–1879م)

في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر, شهد العالم تحولات اجتماعية وصناعية هائلة, حيث برزت أوروبا المسيحية كقوة عالمية سياسيا واقتصاديا وعسكريا, وفي هذا السياق بدأت حركة الاستعمار تستهدف أقاليم افريقيا واسيويا تحت غطاء التمدين, بالمقابل كان العالم العربي و الإسلامي يعاني من التخلف الفكري والاقتصادي واضمحلال اجتماعي لذا بدأت مجموعة من المفكرين والرواد في وضع مشاريع إصلاحية وتجديدية لرفع مستوى العالم العربي ومواكبة التطورات العالمية, ومن بين هؤلاء المفكرين الذين لعبوا دورا بارزا في هذا الشأن نجد كل من محمد صادق باي ومحمد بيرم الخامس وخير الدين التونسي, الذين ساهموا في تقدم ورقي الحركة النهضوية العربية والإسلامية في تونس.

## ❖ المبحث الأول: محمد صادق باي (1859م/1882م)

### ✓ المطلب الأول: مولده ونشأته

هو المشير أبو الوفاء محمد صادق بن حسين بن محمود بن محمد الرشيد بن حسين بن علي التركي[1], ولد في 7 فبراير 1813م وتولى الحكم في تونس بعد وفاة أخيه عام 1817م[2], كان الباي الثاني عشر في سلسلة الاسرة الحسينية التي حكمت تونس منذ عام 1705م, نسب له لقب المشير من السلطان العثماني دون صعوبة, واستمر حكمه مدة 22 سنة دون فارق كبير عن سلفه إلا في الأمية وضعف الشخصية, يعرف بخموله الذهني وميله الى الرفاهية والترف[3], وبعد وفاة أخيه تولى الباي منصب الحكم وتحمل المسؤوليات لا يقل أهمية عن أخيه الذي سبقه, حيث كان عليه مواجهة التحديات التي تعترض البلاد وتأمين استقرارها ورفاهيتها, وقد أظهر الباي قوة الإرادة والحزم في ضبط الأمور وفرض سيطرته على كافة جوانب الحكم , وذلك من خلال تعيينه للمسؤولين على مهامهم وإنجاز المشاريع الضرورية في تحقيق التنمية والاستقرار الاقتصادي للمنطقة, وبفضل جهوده الحثيثة نجح

[1] ينظر الملحق رقم (1).

[2] زهية قدورة؛ **"تاريخ العرب الحديث"**؛ د ط؛ دار النهضة؛ بيروت؛ لبنان؛ ص459.

[3] الشيباني بن بلغيث؛ المرجع السابق؛ ص65.

الباي في إعادة الثقة و الاستقرار الى البلاد, وبناء عهد الأمان الذي يحمي حقوق الشعب ويعزز التعايش المجتمعي دون تمييز, وفي نهاية المطاف استطاع الباي ترسيخ مكانته كقائد حكيم وعادل يسعى دائما لرفع الوطن ورخاء شعبه.

✓ **المطلب الثاني: أعماله الاصلاحية**

- **أولا: الإصلاحات السياسية**

صدور دستور 1861م: بعد وفاة محمد باي تولى اخوه الصادق باي[1]مقاليد الحكم في تونس حيث بادر بأداء القسم والتعهد بالالتزام بعهد الأمان أصدر الصادق باي العديد من الأوامر الترتيبية، من بينها تاريخ 21 مارس 1860م الذي يتعلق بالخدمة العسكرية وتاريخ 27 فبراير 1860م الذي يقضي بإنشاء المطبعة الرسمية وجريدة الرائد التونسي، وفي يوم 19 أوت 1860م تم الإعلان عن اكتمال تحرير قانون الدولة او الدستور الذي يشمل انشاء المجالس كما جاء في عهد الأمان، حيث كان صادق باي يحث أيضا أعضاء لجنة اعداد الدستور على الانتهاء من عملهم في أسرع وقت ممكن، معبرا عن التزامه بوفاء وتقديم الخدمات لتونس.

وفي عام 1860م اتخذ الصادق باي قرارا بتوسيع نطاق صلاحيات المجلس الأكبر وتكوين مجلس خاص يرأسه شخصيا، يضم ولي عهده ووزرائه، لمراجعة المشاريع التي تطرح على هذا المجلس.

وفي سبتمبر من نفس السنة زار محمد صادق باي الجزائر حيث التقى بالإمبراطور نابليون الثالث وسلمه نسخة من قانون الدولة والقوانين الجديدة التي تم اعدادها لتطبيق القواعد الواردة في العهد العثماني، وفي جانفي 1861م تم اعتماد الدستور الجديد الذي جاء بعد جهد مشترك من خير الدين باشا[2]وأحمد بن أبي الضياف، ويعتبر هذا الدستور اول دستور مكتوب في كل العالم العربي والإسلامي يتضمن 114 مادة موزعة على 13 بابا.

---

[1] حبيب حسن اللولب؛" **أبحاث ودراسات في تاريخ المغرب العربي المعاصر**"؛ وزارة الثقافة؛ الجزائر؛ د ت ن؛ ص41.

[2] **خير الدين باشا (1810م–1915م)**: شركسي الأصل؛ قدم الى تونس وعين وزير في عهد أحمد باي؛ قام بجملة من الإصلاحات التونسية؛ عمل على مقاضاة خرندار في المحاكم الفرنسية واستطاع ان يستعيد مبالغ معتبرة من المال المسروق؛ اشتهر

يعتبر دستور عام 1861م في تونس خطوة هامة في تاريخ البلاد نحو تفريق السلطات وتحديد دور كل سلطة بوضوح فقد وضع هذا حدا لتجسيم الحكم في شخص الباي، وهو ما ساهم في تأسيس نظام سياسي جديد يعتمد على توزيع السلطات بشكل منظم، ورغم ان الدستور لم يصاحب تفريق وظيفي صريح للسلطات، الا انه وضع الأساس للتخلص من نظام الحكم المطلق الذي كان سائدا في تاريخ تونس السياسي القديم، بذلك يعد هذا الدستور نقطة تحول هامة في تطوير البنية السياسية للبلاد، وعموما فقد أقر هذا الدستور تفريقا هيكليا للسلطة وهي كالآتي:

- **السلطة التنفيذية:**

يمثل الهيكل التنفيذي مؤسستين رئيسيتين هما مؤسسة الباي ومؤسسة الوزير الأكبر وقد جاء في دستور البلاد تحديد السلطة التنفيذية بشكل حديث من خلال تغيير تسمية الايالة الى المملكة وتغيير تسمية الباي الى الملك، بالإضافة الى ذلك تنص المادة التاسعة من الدستور على ان الملك لا يمكن له ان يمارس سلطته الا بعد ان يحلف بالله ويتعهد ان لا يخالف القوانين وحدود المملكة[1]، يعكس هذا النص التزام الملك بالحفاظ على امانة السلطة واحترام القوانين المحددة.

- **السلطة التشريعية:**

يمارس السلطة التشريعية رئيس الدولة بالتعاون مع المجلس الأكبر والمجلس التشريعي التي يتألف من 60 عضوا، تعين 20 عضوا من بين الموظفين المدنيين والعسكريين من قبل الملك، بينما يتم اختيار 40 عضوا من بين اعيان المملكة، يتم تحديد خمسة أعضاء كل سنة، ويتم تعويض الأعضاء الذين انتهت مدة نيابتهم بالقرعة.

وقد نص الفصل 63 من الدستور على ما يلي:

---

بمؤلفه" **أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك**"؛ توفي بالآستانة؛ ينظر: عبد الوهاب الكيالي؛ "**الموسوعة السياسية**"؛ ج2؛ المؤسسة العربية للدراسات والنشر؛ ص637.

[1] مراد مهني؛" **الثقافة السياسية وتطور المؤسسة البرلمانية قراءة سوسيو تاريخية في التجربة التونسية (1861م–2011م)**"؛ دفاتر السياسة والقانون؛ ع12/ جانفي 2015؛ ص153.

"لا يمكن احداث قانون جديد او زيادة في أداء او تنقيص منه او ابدال قانون او زيادة في عسكر او نقص في المرتبات او عزل موظف في الدولة او احداث شيء لم يتقدم نظيره لا يمضي شيء مما ذكر إلا بعد عرضه على المجلس الأكبر وموافقة الأغلبية", ولا تصبح القوانين نافذة المفعول الا بعد موافقة المجلس وتصديق الدولة عليها[1].

- **السلطة القضائية:**

هي جزء مهم من النظام القانوني في العديد من البلدان، وتلعب دورا حيويا في فصل القضايا وتطبيق العدالة وفي الحالة المعينة ليس للأمير أو المجلس الأعلى أي دخل في السلطة القضائية[2]،يتم تطبيق قواعد عهد الأمان ونص الدستور 1861م لإنشاء عدة محاكم مختلفة تلبي احتياجات مختلفة ومن بين هذه المحاكم نذكر:

أ- **مجالس القبطية:** وهي عبارة عن محاكم ابتدائية تختص بفصل القضايا الخفيفة.

ب- **مجالس النيابات والاحكام العرفية:** والتي تختص بفصل جميع القضايا باستثناء القضايا التجارية والعسكرية.

ت- **مجلس الحرب:** الذي يقوم بفصل التوازنات العسكرية.

ث- **مجلس التجارة:** الذي يقوم بفصل القضايا التجارية.

ج- **مجلس التحقيق:** الذي يعتبر محكمة استئناف تستلم الشكايات من قرارات المحاكم الأخرى تلك المحاكم تضمن توزيع المسؤوليات وفق الحاجة وتقدم ضمانات عدلية وتحقيق العدالة في المجتمع[3].

وخلاصة القول ان دستور 1861م قد اقام نظاما ملكيا دستورا مقتبس من النظم الغربية, غير ان الإصلاحات السياسية والتي تتمثل في عهد الأمان والدستور وعقبها إصلاحات أخرى

[1] حمادي الساحلي؛" **فصول في التاريخ والحضارة**"؛ دار الغرب الإسلامي؛ بيروت؛ 1992؛ ص76.

[2] علي البهلوان؛ "**تونس الثائرة**"؛ هنداوي؛ د م ن؛ 2017؛ ص107.

[3] حمادي الساحلي؛ المرجع السابق؛ ص ص76-77.

والتي تهدف الى عصرنة وتقدم البلاد[1], وسرعان ما اصطدم هذا العهد الدستوري بصعوبات داخلية وخارجية التي تصدت له واشعلت نار ثورة كبرى سميت باسم قائدها علي بن غذاهم[2] سنة 1864م أدت هذه الثورة الى توقف النظام الدستوري وانقطاع العمل في المجالس, تفاقمت الوضعية بحدوث حروب أهلية وانتشار الأوبئة والامراض والمجاعة لسنوات طويلة, فاستغلت الدول الاجنبية هذه الفوضى للتدخل في الشؤون التونسية تحت رقابة لجنة دولية سنة 1869م[3].

- **ثانيا: الإصلاحات الاقتصادية**

في عهد محمد الصادق صدرت مواد في دستوره تؤكد على حقوق الأجانب في تونس، مثل حرية التجارة وعدم احتكار الدولة لأي نوع من الاعمال، وقد تم التأكيد على حرية امتلاك العقارات والأراضي داخل تونس بهدف إرضاء الأجانب وتحقيق طموحاتهم.

ومع زيادة النهب والاسراف اضطرت الدولة لفرض ضرائب فادحة على المواطنين واستخدمت اقصى الأساليب في جبايتها وتراكمت الديون لتصل الى حوالي 160 مليون فرنك، وأدى سوء الأوضاع المالية الى اندلاع مجاعة في البلاد وقامت ثورة على الحكومة عام 1864م وبقيت آثارها الى عام 1867م.

- **ثالثا: الإصلاحات العسكرية**

في عهد صادق باي, تم تنفيذ مجموعة من القوانين الخاصة بشؤون الجيش المختلفة وذلك كجزء من الإصلاحات السياسية والقضائية التي كان الباي يسعى لتنفيذها, وتم استلهام هذه القوانين من عهد الأمان ومن الدستور (16), وتتنوع القوانين المعتمدة في هذا العهد لتشمل مجموعة واسعة

---

[1] على البهلوان؛ المرجع السابق؛ ص107.

[2] **علي بن غذاهم**: استقى تعليمه من جامع الزيتونة؛ يحسن القراءة والكتابة ولقب بباي الشعب وقد تزعم ثورة 1841 في الجهة الغربية وهو صاحب 50 عاما؛ ينظر: جان غانياج؛" **ثورة علي بن غذاهم 1864**"؛ تر؛ لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية؛ د ط؛ الدار التونسية للنشر؛ تونس؛ ص20.

[3] محمد الفاضل ابن عاشور؛ "**الحركة الأدبية والفكرية**"؛ في القرنين 13-14هـ/19-20م؛ المجتمع التونسي للعلوم والآداب والفنون؛ تونس؛ 2009؛ ص ص43؛44.

من المجالات العسكرية المختلفة, مثل قوانين وزارة الحرب ووزارة البحر وخدمة المخازنية في السفر والإقامة, وقد أسهمت هذه القوانين في انشاء بنية تنظيمية وقضائية لجميع هياكل الجيش, مما يعكس الانتباه الزائد الذي اولاه الصادق باي لهذه الجوانب, وكان الباي من الذين كرسوا اهتماما خاصا لمنح الاوسمة، سواء كانوا من وزرائه او من رجال الدول الأجنبية، مما أدى الى تكبد الدولة تكاليف مالية باهظة بسبب هذه الهبات السخية.

- **رابعا: الإصلاحات التعليمية**

تطورت مراحل التعليم في تونس بشكل كبير بعد انفتاح المدارس الرسمية، حيث كانت الكتاتيب والمدارس الدينية السائدة في الفترة السابقة قليل من العلوم الأخرى، كان يتعلمها الطلاب، بينما كانت دراسة الاديب محدودة لبعض القصائد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم[1]، بدأت الأمور في تونس تتغير عندما أدرك محمد الصادق أهمية العلم في إعادة تونس الى سابق عهدها، وقام بتكليف الجنرال حسين بإدارة المؤسسة التعليمية، فكانت فلسفته المتمثلة بأهمية العلم والتعليم هي الركيزة الأساسية للنهوض بالبلاد.

وفي عام 1874م تم تشكيل لجنة من ثمانية أعضاء من المثقفين في تونس لتنظيم التعليم في جامع الزيتونة وقد قامت هذه اللجنة بوضع قانون تنظيم الزيتونة الذي يتضمن 67 فصلا وبموجب هذا القانون المذكور قسمت الدراسة فيه الى ثلاثة مراحل:

**المرحلة الأولى**: بواقع 4 سنوات.

**المرحلة الثانية**: 3 سنوات.

**المرحلة الثالثة**: سنتان.

وقد تم تأسيس اول مدرسة عصرية غير عسكرية في عام 1875م، حيث كان القبول مقتصرا على الطلاب المسلمين، وقد بدأ 50 طالبا دراستهم في هذه المدرسة التي كانت مجانية وداخلية، تم

[1] عبد الجليل التميمي؛ المرجع السابق؛ ص ص 81؛82.

ذلك بهدف توفير الموارد المالية اللازمة لاستمرارية التعليم في هذه المدرسة، وقد قامت اللجنة أيضا بتوجيهات لإدخال العلوم العصرية واللغات الأجنبية في مناهج التعليم، بهدف تجنب اثارة علماء الدين الطموحين.

أوقف خير الدين التونسي[1] أملاك الوزير السابق مصطفى خرندار التي تبلغ 231 ملكا، والتي طالما صدرت عن الدولة سابقا، اما فيما يخص كوادرها التدريسية فقد تم توزيعها بين عدد من مدرسي الأجانب خلال سنوات دراستهم في هذه المدرسة دروسا متنوعة وتكريم الطلاب الخريجين القادمين من مختلف المعاهد الجامعات الأوروبية؛ بما في ذلك معهد القديس لويس في باريس[2].

## ❖ المبحث الثاني: محمد بيرم الخامس (1840م-1889م)

### ✓ المطلب الأول: مولده ونشأته

هو محمد بيرم الخامس ابن مصطفى بن محمد الثالث, مؤرخ وعالم رحالة من تونس[3], ولد في أوائل محرم (1256هـ/مارس 1840م), والده من الامراء في الدولة التونسية في ذلك الوقت وامه ابنة الجنرال محمد خوجة الذي كان وزير الحرب[4] في عهد الأمير احمد باي[5], تربى محمد الخامس في بيئة ملكية وتلقى تعليما جيدا, مع مرور الوقت اتخذ محمد الخامس دورا هاما في السياسة والقيادة في تونس, حيث تم اختياره كوزير الحرب بفضل تعليمه وتربيته الرفيعة, نجح محمد بيرم الخامس في تحقيق

---

[1] رابحة محمد خيضر؛" مجلة التجربة الإصلاحية في تونس في عهد محمد صادق باي (1859م-1881م)، جامعة الموصل، ص 519.

[2] نفسه؛ ص 519.

[3] مصطفى عبد الغني؛ "**معجم مؤرخي التاريخ العربي الحديث والمعاصر**"؛ ج2؛ دار الجوهرة للنشر والتوزيع؛ القاهرة؛ جمهورية مصر العربية؛ 2014؛ ص318.

[4] الصادق الزمرلي، "**أعلام التونسيين**"، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986م، ص88.

[5] **الأمير أحمد باي**: تولى الحكم على تونس حوالي عشرين سنة من 1837م إلى وفاته 1855م؛ فحاول النهوض بتونس وفق طابع العصر الأوروبي؛ وذلك بإدخال عدة إصلاحات في كل المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية والعسكرية؛ ينظر: أحمد الطويلي؛" **رسالة المناعي إلى المشير الأول أحمد باي في الشكوى من أحمد بن أبي الضياف**"؛ الدار التونسية للنشر؛ تونس؛ د ت؛ ص 15؛16.

العديد من الإنجازات خلال حياته المهنية, والتحق بجامع الزيتونة في سن مبكر, وكان مهتما بالشؤون السياسية منذ السن السابعة عشر من عمره, كان يبحث بحماس عن المصادر التي تقدم معلومات حول القضايا الإدارية والاجتماعية التي تصف الوضع في البلاد, وكان لديه كنش خاص يسجل فيه جميع الأوامر والترتيبات الصادرة في عهد صهره الأمير محمد باي, وهذه العادة كانت مأخوذة من علماء العصر السابقين, بفضل اهتمامه واجتهاده في دراسة الأمور الاجتماعية والسياسية استطاع ان يكون على اطلاع دائم بكل ما يجري من تطورات في بلاده وعلى الساحة السياسية.

سافر الى أوروبا، ولما استولى الفرنسيون على تونس هجر بلاده متوجها الى الآستانة وبقي فيها لبعض الوقت قبل ان ينتقل الى مصر عام 1302هـ، هناك أسس جريدة "**الاعلام**" التي استمرت لمدة تقارب الأربعة أعوام قبل ان تتوقف عن الصدور، بعد ذلك تولى منصب قاض في محكمة مصر الابتدائية الاهلية، تاريخه الشخصي يعكس مسيرة حافلة بالعمل والإنجازات في مجالات متعددة، حيث كان له دور بارز في اثراء الحياة الثقافية والاجتماعية في الدول التي تواجد فيها.

ومن مؤلفاته التاريخية المهمة:

- **صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار في خمسة أجزاء.**
- **تحفة الخواص في حل صيد بندق الرصاص.**
- **التحقيق في مسألة الرقيق.**
- **الروضة السنية في الفتاوى البيرمية**[1].

وحل هذا المؤرخ في القاهرة عام 1307هـ.

توفي في المهجر 15 ديسمبر 1889م بعدما تعرض لعدد لا يحصى من المحن المضنية لا محالة والمليئة مع ذلك بشتى أنواع الاكتشافات، وقد كان مقدرا له ان يفارق الدنيا حاملا معه الى مثواه

[1] مصطفى عبد الغني؛ المرجع السابق؛ ص 318؛319.

الأخير أسرار حياة قصيرة ومضطربة، قد كرسها بتمامها وكمالها لخدمة الحرية والقيم الإسلامية الخالدة[1].

[1] الصادق الزمرلي؛ المرجع السابق؛ ص95.

✓ **المطلب الثاني: أعماله الإصلاحية**

تمتلك إصلاحات بيرم الخامس سيمات جريئة وسخية, كما هو الحال مع قانون عهد الأمان الذي اقره الأمير محمد باي[1], على الرغم من تعبير بعض الأشخاص عن تحفظهم تجاهه, وقد تمت إقرار هذه الإصلاحات رغم معارضة والد المترجم وعمه, اللذين كانا عضوين في المجلس, يعتبر محمد بيرم ناجحا في مجال التعليم, حيث نجح في مناظرة التدريس من الطبقة الثانية (1861م) ثم في مناظرة التدريس من الطبقة الأولى (1867م)[2]، ورغم ترك والده له إرثا عقاريا كبيرا, واجه صعوبات في استغلاله بسبب الاضطرابات التي شهدتها البلاد بسبب ارتفاع الضرائب وعلى رأسها ضريبة المجبى[3]والاعتداءات على المواطنين[4].

ثم بعد ذلك قام محمد بيرم الخامس ببيع املاكه والسفر الى أوروبا للالتحاق بالجنرال خير الدين رئيس المجلس الأكبر وزعيم الحركة التحررية التونسية, قام بمهمة الاشراف على إدارة الأوقاف في عام 1874م[5]، حيث ضم اليه ثلاثة مساعدين, احدهم من موظفي الدولة والآخران من الاعيان المختارين من بين التجار، كما كان من أعضاء اللجنة المكونة لوضع برنامج تأسيسي للمدرسة الصادقية في عام 1875م[6]، في نفس السنة دعا للإشراف على المطبعة الرسمية وأعطاها دافعا جديدا بإصدارها بانتظام تحت اسم (**الرائد التونسي**)،بدلا من إصدارها تحت الظروف كما كانت في

---

[1] **محمد باي**: هو المشير أبو عبد الله محمد بن حسين بن محمود بن محمد الرشيد بن حسين بن علي تركي؛ ولد في شعبان من سنة 1226هـ ست وعشرون ومائتين وألف/ أوت سبتمبر 1811م؛ قرأ شيئا من القرآن في أوائل سنه وتدرب الفروسية والرماية والنسيج على منوال الشهامة ولم يعرج به والده على شيء من طرق التهذيب وأخلاق الكمال التي يجب أن يتعلمها مثله أبناء الملوك وكان على الفطرة أقرب إلى الأمية؛ ينظر: أحمد بن أبي الضياف؛ **"المرجع السابق**؛ ص185".

[2] الصادق الزمرلي، المرجع السابق، ص89.

[3] **ضريبة المجبى**: هي ضريبة أقرها الباي محمد سنة 1864م: كانت السبب المباشر لحدوث ثورة علي بن غذاهم: ينظر: علي المحجوبي، المرجع السابق، ص12.

[4] صادق الزمرلي، المرجع السابق، ص89.

[5] نفسه، ص90.

[6] ينظر الملحق رقم (2).

السابق، بدأ بيرم الخامس مهمته بالاستعانة بمجموعة من أدباء العصر لمساعدته في أداء رسالته, منهم الشيخ حمزة فتح الله المصري والشيخ محمد السنوسي التونسي, قام بتنظيم المكتبة التي أسسها في جامع الزيتونة, وحظي بفرصة العودة الى أوروبا عام 1878م بعد افتتاح المعرض الدولي في باريس, استغل هذه الرحلة للعلاج وزيارة باريس ولندن والجزائر, لكي يتزود بالمعلومات الإضافية التي ستساعده من إثراء كتابه السالف بالذكر[1].

بعد ان طلب بيرم الخامس[2]من الحكومة الترخيص له بالسفر لأداء مناسك الحج سنة 1879م، تمكن من تحقيق غرضين أساسيين: الغرض الأول كان أداء الفريضة الدينية والذي يعتبر من الواجبات الإسلامية على كل مسلم بالسفر لأدائها، أما الغرض الثاني فكان في الاتصال من جديد بالخارج لدراسة حضارته[3]والاطلاع على التطورات العلمية والفنية التي تحدث في العالم الغربي، والتي من الصعب على بلاده توفيرها له، فقد أراد بيرم الاستفادة من فترة غيابه عن الساحة الدولية لتطوير نفسه ومعرفة ما هو جديد في العالم.

بعد وصول بيرم الخامس الى العاصمة العثمانية وتلقيه نبأ اعفائه من مهامه وتجريده من شهادته العلمية، أصبح وجوده يثير المخاوف ويعتبر خطرا سياسيا، تحول بيرم الى لاجئ سياسي في ذلك الوقت، حيث بدأ يواجه صعوبات في العيش والبقاء في البلاد التي لم تعد تقدم له الدعم او الحماية، تحول بيرم الخامس الى شخص غير مرغوب فيه في أواسط الحكومة العثمانية وأصبح عليه مواجهة تحديات جديدة تهدد مكانته وحياته.

وصل بيرم الخامس الى القاهرة في شهر ماي 1882م، حيث اقتحم ميدان العمل وأسس صحيفة "**الإعلام**", كانت هذه الصحيفة تصدر ثلاث مرات في الأسبوع، لقد حققت هذه

[1] الصادق الزمرلي، المرجع السابق، ص92.

[2] ينظر الملحق رقم (3).

[3] نفسه، ص92.

الصحيفة صدأ واسع في العالم الإسلامي والمشرق[1]، وأصبحت منبرا هاما لنشر الأفكار والمعلومات، تميزت بتقديم مقالات متنوعة ومواضيع مختلفة تهم القراء، مما جعلها وسيلة فعالة لتبادل الثقافات والأفكار بين الشعوب.

## ❖ المبحث الثالث: خير الدين التونسي (1849م-1879م)

### ✓ المطلب الأول: مولده ونشأته

اختلف اغلب المؤرخين في تحديد ميلاد خير الدين التونسي[2], حيث يذكر الزركلي في كتابه "**الإعلام**" الجزء الثاني انه ولد عام 1225هـ/1810م[3], بينما يذكر الآخرون من بينهم عبد الجليل التميمي انه ولد سنة 1822م[4], غير ان خير الدين التونسي ولد وفق التاريخ الراجح في عام 1225هـ/1810م[5], وينتمي التونسي الى قبيلة أباظة في بلاد الشركس, التي تقع في الجنوب الشرقي من جبال القوقاز, توفي والده حسن لاش في احدى الوقائع العثمانية[6] ضد روسيا, وتم اعتقال خير الدين وهو طفل على اثر غارة, حيث تم بيعه في سوق الرقيق[7] في إسطنبول, وبمجيئه الى إسطنبول تم شراؤه من قبل نقيب الاشراف تحسين بك بن محمد الكبرى, الذي اتخذه رفيقا وأخا لابنه في الدراسة.

عاش خير الدين التونسي في إسطنبول لمدة سبع عشر سنة, وأشرف تحسين بك على تعليمه هو وابنه الوحيد مبادئ العلوم الإسلامية واللغة الفرنسية, وفي يوم مؤلم توفي ابنه الوحيد وبعد ذلك قرر

---

[1] نفسه، ص94.

[2] ينظر الملحق رقم (4).

[3] خير الدين الزركلي "**الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربة والمستشرقين)**", ج2, ط3, ص375.

[4] عبد الجليل التميمي، المرجع السابق، ص69.

[5] محمد محفوظ، "**تراجم المؤلفين التونسيين**", ج2, دار الغرب الإسلامي، ط1, بيروت، لبنان, 1982م، ص271.

[6] خير الدين التونسي، "**مذكرات خير الدين باشا**", تح وتع: محمد العربي السنوسي، دار بيت الحكمة، تونس, 2008م، ص20.

[7] رشيد الذوادي "**رواد الإصلاح**", منشورات عبد الكريم بن عبد الله، ط2, تونس, 1983م، ص22.

الاب بيع خير الدين في سوق العبيد[1] لم يتحمل الاب هذه الصدمة بوجود رفيق ابنه الوحيد, ولهذا اضطر الى بيعه في سوق العبيد, تم شراؤه من قبل شخص مرموق في تونس يدعى المشير احمد باي الأول سنة 1837م, حيث تم تعيينه في مدرسة باردو الحربية ومدرسة صغار المماليك[2] خلال فترة خدمته, اكتسب خير الدين المعارف اللازمة في العلوم الدينية واللغات التركية والفارسية والعربية[3], واستفاد كثيرا من مكتبة القصر التي كان يجمعها المشير احمد باي, حيث قام بجمع اكثر من ألفي مخطوطة نادرة تتناول مواضيع متنوعة كالأدب والتاريخ والسياسة والفلسفة, بدأ خير الدين في التفرغ للقراءة, وكانت قراءته متواصلة حيث كان ينتقل من كتاب الى آخر بلا توقف[4].

وبهذا الصدد، يذكر محمد بيرم الخامس[5] قائلا "كان فصيحا في اللغة العربية عارفا بالتركية والفرنساوية، شديد التوقير للشريعة والعلماء، محافظا على شعائر الدين..."[6]

وفي تلك الاثناء كانت تونس تعاني من حالة التخلف والجهل حيث كانت الحياة العلمية والفلاحية والصناعية والتجارية تعاني من التأخر والضعف، كما كانت إدارة البلاد تعمل بأسلوب

---

[1] محمد محفوظ، المرجع السابق، ص271.

[2] الصادق الزمرلي، المرجع السابق، ص98.

[3] محمد بن محمد مخلوف، **"شجرة النور الزكية في الطبقات المالكية" التتمة**، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ص177.

[4] سمير أبو حمدان، المرجع السابق، ص ص 26, 27.

[5] **محمد بيرم الخامس**: ابن مصطفى بن محمد الثالث من مواليد أوائل محرم (1256هـ/ مارس 1840م) في تونس، التحق بجامع الزيتونة في سن مبكرة وتابع دروس أبرز المدرسة، وكان الى جانب ذلك مولعا بشؤون السياسة وكل ما يتصل بها منذ ان بلغ من العمر سبع عشر سنة، هجر بلاده وتوجه الى الآستانة ومكث فيها فترة من الزمن ثم توجه لمصر عام 1302هـ، وهناك أنشأ جريدة الأعلام التي استمرت نحو أربعة أعوام وتوقفت عن الصدور، بتوليه منصب القضاء في محكمة مصر الابتدائية الاهلية.

من مؤلفاته التاريخية المهمة:

- صفوة الاعتبار بمستودع الامصار في خمسة أجزاء، تحفة الخواص في حل صيد بندق الرصاص...الخ.

ينظر: مصطفى عبد الغني، المرجع السابق، ص318.

[6] محمد بيرم الخامس، المرجع السابق، ص49.

بدائي ومتخلف مما جعل البلاد تواجه تحديات كبيرة في مجالات عدة وتحتاج الى إصلاحات جذرية من اجل التقدم والازدهار[1].

خلال فترة بقاء خير الدين في منصبه لمدة ثمانية أشهر واجه العديد من التحديات التي تركها له السلطان عبد الحميد، لم يستطع خير الدين تحمل كل الأعباء، وكان هناك اختلاف في التفكير بينه وبين السلطان الذي تسبب في انفصاله عنه مثلما نفر منه الباي من قبل، وتعرض خير الدين أيضا للانتقادات من رجال الدين، مما جعله يتم عزله من منصبه.

وفي عام 1889م/1307هـ، توفي خير الدين في الآستانة عن عمر يناهز السبعين عاما، ودفن في جامع أيوب، رغم انتهاء حياته إلا ان خير الدين ترك تاريخا مهما وحافلا في الإصلاح ومكافحا للفساد[2].

✓ **المطلب الثاني: أعماله الاصلاحية**

- **أولا: الإصلاحات السياسية**

يؤكد خير الدين التونسي على ان التنظيمات لا تتعارض مع الشرع بل توافقه او تنفد أوامره، مشيرا الى أهمية تكاتف جميع افراد المجتمع من اجل بناء تنظيمات تتماشى مع القيم الدينية والأخلاقية[3].

يعتبر تأسيس تلك التنظيمات الشرعية خطوة ضرورية لمواجهة التحديات والمشكلات الجديدة التي قد تواجه المسلمين في عصرنا الحالي، وبناء على هذا المفهوم يجب على الجميع العمل بروح التعاون والتضامن لضمان تطبيق الشريعة الإسلامية والحفاظ على المبادئ الأساسية التي تحقق مصلحة المسلمين وتعزز وحدتهم, فقد أصدر خير الدين فرمانا يقرر فيه أن تونس ولاية عثمانية وأن حكامها يحظون بسيادة داخلية, كان هذا القرار جزءا من استراتيجية خير الدين لتعزيز سلطة الدولة العثمانية

[1] أحمد أمين، "**زعماء الإصلاح في العصر الحديث**", مكتبة النهضة المصرية، ط3, مصر, 1971م، ص ص 161, 162.

[2] نفسه، ص197.

[3] أحمد عبد السلام، المرجع السابق، ص22.

وتوسيع نفوذها في المنطقة, وكانت سياسة خير الدين آمن بها في توطيد الروابط بين الدولة العثمانية وولايتها، كما نجح في تحقيق إصلاحات في نظام الحكم وذلك بعد اقناع السلطان عبد الحميد ثم قدم استقالته من منصبه عام 1879م، ولكن بقي على تواصل وثيق ببلاط السلطان، وأصبح يشتغل منصبا مهما في مجلس الاعيان، وكان له دور كبير في تقوية البنية الحكومية وتعزيز النظام السياسي، كانت سياسته الحكيمة موجهة نحو تعزيز الاستقرار السياسي والاقتصادي في الدولة العثمانية، وقد اعتبره العديد من النقاد والمؤرخين من ابرز الشخصيات التي ساهمت في تحسين أوضاع البلاد خلال تلك الفترة.

- **ثانيا: الإصلاحات الاقتصادية**

لقد قام خير الدين التونسي بإصدار قانون الخماسة الذي كان له دور كبير في تعزيز القطاع الزراعي والفلاحي في تونس, يحدد هذا القانون حقوق وواجبات الخماس وينظم علاقتهم مع الفلاح[1], مما ساهم في تعزيز الاستقرار وتحسين أوضاع الفلاحين وزيادة الإنتاجية الزراعية, كانت هذه الخطوة احد العوامل التي ساهمت في النهوض بالفلاحة في تونس وتعزيز دور القطاع الزراعي في الاقتصاد الوطني, وبفضل تنظيم العلاقة بين الفلاحين والخماس وتحديد حقوقهم وواجباتهم تمكنت الحكومة التونسية من تحسين الظروف المعيشية للفلاحين وتعزيز دورهم في تحقيق التنمية المستدامة في البلاد[2].

من جهة أخرى، نجد ان خير الدين اهتم بالقطاع الصناعي وأظهر ذلك في إصداره لقانون ينظم حقوق وواجبات العمال والصناعيين، بالإضافة الى تنظيم العلاقة بينهما[3]، كما عمل على تنظيم العلاقة بين الحرفيين وارباب الهيئات التي تنظم نشاطهم بهدف إعادة احياء الصناعات التقليدية

[1] زهير الذوادي، "**الاستعمار وتأسيس الحركة الإصلاحية في تونس**", ط1, الأطلعية للنشر, 2006, ص7.
[2] عبد الجليل التميمي، المرجع السابق، ص71.
[3] حبيب حسن اللولب، المرجع السابق، ص53.

مثل صناعة الشاشية وحرفة النقش وفق معايير محددة، وقام بضبط الاوزان والمكاييل واستبدال العملة النقدية بعملة ذهبية كاملة الوزن، وذلك بهدف تطوير هذه الصناعات وتحسين جودتها وكفاءتها.

أما فيما يتعلق بالقطاع التجاري، قام خير الدين بخفض الرسوم الجمركية بهدف تعزيز الإنتاج ونتيجة لذلك شهد الاقتصاد نموا وتحسن ملحوظين، حيث زادت الإيرادات وازدادت حركة التجارة[1]، يعتبر هذا الاجراء خطوة هامة في تعزيز القدرة التنافسية للشركات وتحفيزها على زيادة الإنتاج وتوسيع نطاق التصدير، تأتي هذه السياسات الاقتصادية في سياق تطوير البيئة التجارية وتعزيز النمو الاقتصادي في البلاد.

شجع خير الدين الفلاحين على محاربة الغش في المنتوجات لتحسين نوعية وكمية الانتاج التونسي، حيث بدأ بتنظيم التجارة الداخلية ومنع بيع السلع خارج الأسواق المخصصة، يهدف ذلك لخلق تنافسية مع السلع الأوروبية وتعزيز الاقتصاد التونسي.

يعتبر خير الدين العصب الرئيسي للاقتصاد والذي يعتمد على تحقيق الموارد المالية اللازمة وتوزيعها بشكل مناسب لتعزيز القطاعات المختلفة وزيادة الإنتاجية في البلاد.

- **ثالثا: الإصلاحات الاجتماعية**

تبرز ملامح خير الدين الاجتماعية في عنصرين أساسيين:

**العنصر الأول يتمثل في القضاء:** يعتبر القضاء أحد الركائز الاجتماعية الأساسية لأي مجتمع بشري، حيث يعتبر منظومة تطبيق العدل وتحقيق العدالة بين الافراد.

**العنصر الثاني يتمثل في الوقف:** فهو نظام يعتمد على تخصيص موارد معينة لتحقيق اهداف اجتماعية معينة، ويعتبر مكملا للقضاء في تحقيق العدالة وتلبية احتياجات الافراد.

[1] عبد القادر دوحة، " **الإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية لخير الدين التونسي في منتصف القرن 19 وعلاقتها بالحضارة العربية**", مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، ع11, ديسمبر 2016, ص204.

قام خير الدين بتنظيم الوقف بما يتوافق مع النماذج الأوروبية لتحقيق التسيير الفعال وتلبية الاحتياجات المجتمعية، تحتاج المجتمعات الى هذين العنصرين لبناء أسس مجتمع عادل[1].

### أ. تفعيل القضاء

تفل النظام القضائي في تونس على تعقيد كبير، حيث كانت البلاد تتبع التشريعات الإسلامية الى جانب القوانين المدنية، كانت المحاكم الشرعية تلعب دورا رئيسا في تطبيق هذه التشريعات، وكانت تتسم بالتنظيم الفوضوي التقليدي، كما اشتغل خير الدين وظيفته كوزير أكبر سنة 1837م[2].

أنجز عدة اعمال ساهمت في تحسين القضاء وهي:

- **تأسيس محكمة الأحبار**، وهي محكمة تطبق التشريعات الخاصة باليهود
- **تأسيس محكمة الوزارة**، وهي المحكمة التي أسسها خير الدين، وهي عبارة عن قسم من أقسام الوزارة الكبرى وهذه المحكمة كانت تحضيرية فقط، حيث انها تهتم بالنوازل أما الجديد فيها فيكمن في انشاء دائرتين مدنية وجنائية وتأثر بأنماط القضاء المعمول به في الدول الأوروبية[3].
- **إنشاء مجلس مختلط**، حرص خير الدين على تأسيس أول محكمة مختلطة للتجار وذلك لتعويض المحاكم القنصلية التي تشكل خطر على السيادة الداخلية والخارجية[4].

قام خير الدين في نشرته الوزارية بتنظيم الهياكل القضائية الجديدة، حيث اعتمد على سلسلة من التشريعات والإجراءات لتحسين النظام القضائي[5]، كانت هذه الإصلاحات تهدف الى تعزيز فعالية القضاء وتحسين جودة التحقيقات القضائية، بغية ضمان تقديم العدالة والمساواة لجميع المواطنين، وقد

---

[1] نفسه، ص ص 212، 213.

[2] نقولا زيادة، المرجع السابق، ص67.

[3] الشيباني بن بلغيث، "**النظام القضائي في البلاد التونسية (1867م – 1927م)**", مكتبة علاء الدين، صفاقس، ص268.

[4] نفسه، ص270.

[5] عبد القادر دوحة، المرجع السابق، ص214.

لاقت هذه الإصلاحات استحسانا واسعا من قبل الشعب والمجتمع الدولي، مما ساهم في تعزيز مكانة البلاد على الصعيدين الوطني والدولي.

### ب.اصلاح الأوقاف

تعد اصلاح الأوقاف من القضايا الهامة التي تواجه المجتمعات الإسلامية في العصر الحديث المعاصر, فقد ازداد انتشار الأوقاف وتتنوع أصنافها مما أدى الى ضرورة وجود هيئة تشرف عليها وتسيرها بمهنية وشفافية تتكون هذه الهيئة من موظفين مدربين تدريبا جيدا, يتمتعون بالكفاءة والنزاهة, وبالتالي فإن هؤلاء الموظفين يشكلون شريحة اجتماعية مهمة تستمد صلاحيتها من الاحكام الشرعية المتعلقة بالوقف, ويبرز من خلال ذلك مدى ارتباط الوقف بالنظام القضائي للدولة, حيث يتم التحكيم في القضايا المتعلقة بالأوقاف وفقا للأحكام الشرعية والقوانين المحلية, لذا يجب العمل على تعزيز دور الهيئات الإشرافية على الأوقاف وتطوير قدرات موظفيها لضمان حماية وتنمية هذه الأصول الدينية والخيرية وتحقيق الفائدة القصوى للمجتمع.

فهم خير الدين الدور الذي يجب ان يقوم به النظام الوقفي في المجتمع, حيث بدأت مساعيه الأولى لإصلاح هذا النظام من خلال الفترة الدستورية على اصدار منشور عام 1858م, لكنه كان محدودا في مجال مراقبة الحسابات على الرغم من انه وضع الأسس لإدارة مركزية تابعة للأوقاف العامة[1], من الجدير بالذكر ان فهم خير الدين لأهمية دور النظام الوقفي يعكس التزامه بتحقيق الشفافية والمساءلة في إدارة هذه الجهات الدينية الهامة في المجتمع, بالتالي يجب ان يستعمل العمل على تعزيز دور النظام الوقفي في خدمة المجتمع وضمان استدامة ادارته بكفاءة وفعالية.

دعم هذا المنشور بمنشور جوان 1860م، حيث اعطى الحكومة الحق في مراقبة الأوقاف، اما منشور جويلية 1860م، فقد حدد دور الحكومة في التفتيش والمراقبة، بالإضافة الى ارسال تقرير سنوي للحكومة عن حالة الأوقاف بناء على المنشور الصادر في جوان 1874م، حيث تم تعيين

[1] نفسه، ص219.

مجلس إدارة يتكون من رئيس ونائب وعضوين، كانت الجمعية مستقلة عن السلطة السياسية، لكنها كانت تحت وصايا الحكومة، وتمتعت بالشخصية المدنية والاستقلالية المالية، مما جعلها تستطيع الدفاع عن حقوقها امام المحاكم الشرعية.

وتركز الجمعية على دورها في المحافظة على الأراضي الوقفية، والتي أصبحت بحاجة الى هيكل دستوري منظم لحمايتها من تأثيرات رأسمالية أوروبية وتطويرها لتحقيق دورها الاقتصادي والاجتماعي[1]، ويأتي هذا في سياق تنصيب اللجنة المالية لمراقبة الميزانية التونسية، مما دعا الى إقامة الهيئة لضمان استقرار الأوقاف والحفاظ على قيمتها في المجتمع التونسي.

ويروي بيرم الخامس الذي تولى إدارة هذه الجمعية, بأن خير الدين قد عين أناسا تقاة لتقويم وتقدير ما يكفي لإصلاح الأملاك الموقوفة والذي تم تقديره بحوالي ثلاثة ملايين ريال أقيمت بفضلها الجوامع والمساجد في كل الجهات وما يبين لنا نجاح خير الدين في سياسته هذه هو ارتفاع المداخيل السنوية وهو ما أكده بيرم الخامس بقوله:" كان دخله في السنة الأولى من مباشرتي وهي سنة 1876م حوالي مليون ومئتين وأربعة ألف ريال", أما ما يمكن استخلاصه في هذا المقام هو انه بالإضافة الى اهمية الوقف في تعزيز الرابطة الروحية؛ تكمن في اهميته فيما جعله خير الدين من اثر على الحياة الاجتماعية[2]، كانت الاوقاف في تونس تلعب دورا هاما في دعم الخدمات الثقافية والدينية؛ فبعل مردوده كان ينفق على السلك الديني والمدرسين والطلبة؛ مما جعله المصدر الرئيسي لرعاية هذه الخدمات؛ لم يقتصر دور الاوقاف على ذلك؛ بل شمل حتى الاحسان الى الفقراء وتوزيع الصدقات؛ مما ساهم في تعزيز التماسك الأسري وحفظ حقوق الورثة؛ بالإضافة الى ذلك فإن تنظيمات الوقف وأحكامه ساهمت في تنظيم العلاقات الاجتماعية والأسرية في المجتمع التونسي[3].

---

[1] نفسه، ص220.

[2] ياسين شيخ، محمد الأمين بوغرارة، "**خير الدين التونسي حياته واطروحاته الإصلاحية**", مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، اشراف عبد القادر خليفي، جامعة محمد بوضياف، المسيلة, 2020-2021م، ص47.

[3] عبد القادر دوحة، المرجع السابق، ص220.

- **رابعا: الإصلاحات التعليمية**

تم تطوير نظام التعليم الحديث لتحقيق تطلعات الدولة في بناء مجتمع المعرفة والاقتصاد المعتمد على الابتكار والتطور التكنولوجي؛ يهدف هذا النظام إلى تنمية مهارات الطلاب وتعزيز قدراتهم العقلية والابتكارية من خلال توفير بيئة تعليمية تحفز على التفكير النقدي والابتكار وتعزز القدرة في حل المشكلات بشكل مبتكر؛ بجانب ذلك؛ يسعى نظام التعليم الحديث إلى تنمية قيم المواطنة والتعايش الاجتماعي والتفاعل الثقافي بين الطلاب من مختلف الايديولوجيات والثقافات ومن خلال هذا النهج الحديث في التعليم؛ يمكن للدولة بناء جيل جديد من الشباب المبدعين والمبتكرين القادرين على مواجهة تحديات المستقبل بثقة وكفاءة؛ وعلى هذا الأساس ثم بعث تعليم عصري لتوفير الاطارات وخلق عقلية جديدة أساسها الحداثة وتكون حافزا على التجديد والاصلاح[1].

خلف خير الدين مدرسة حديثة لتعليم العلوم العربية والشرعية والعقلية؛ بالإضافة الى الثقافة العصرية في جامع الزيتونة؛ حيث قام بجمع الكتب المبعثرة في المساجد وأسس مكتبة بها ألف مئة كتاب محفوظ؛ وقام بتنظيم المكتبة بشكل حديث وجميل وطبع الكتب في مطبعة الدولة؛ حيث بدأت تنتشر الكتب العربية والأدبية؛ كما قام بتحسين إدارة الرائد التونسي وهي الصحيفة الرسمية للحكومة؛ وشجع على نشر المقالات فيها ونشر أفكاره السياسية؛ أيضا كان يلزم الموظفين بقراءة الصحيفة لتعم الفائدة والتثقيف[2].

تأسست المدرسة الصادقية في تونس بهدف تقديم تعليم عالي الجودة ومتطور يعتمد على العقل والنقد؛ وقد تميزت هذه المدرسة بحداثة مناهجها ومضمونها التعليمي؛ حيث تم بناء مناهجها بشكل متطور يلبي احتياجات الطلاب ويعزز قدراتهم العقلية؛ كما حرصت المدرسة على الحفاظ على مستوى التعليم وضمان استمراريته من خلال تحقيق الاستقلالية والاعتماد على ذاتها من خلال

[1] حبيب حسن اللولب، المرجع السابق، ص53.

[2] عبد الجليل التميمي، المرجع السابق، ص62.

231 ملكية؛ ومنذ تأسيسها أصبحت المدرسة الصادقية رمزا للحداثة والتفتح؛ وقد تم وصفها بأنها رابط بين الحضارة العربية والإسلامية والأوروبية[1].

[1] حبيب حسن اللولب، المرجع السابق، ص55.

## الفصـــل الثالث: انعكاسات الحركة الإصلاحية على المجتمع التونسي.

- ❖ المبحث الأول: نتائج الحركة الاصلاحية في تونس على الصعيد السياسي.
- ❖ المبحث الثاني: نتائج الحركة الاصلاحية في تونس على الصعيد الاقتصادي.
- ❖ المبحث الثالث: نتائج الحركة الاصلاحية في تونس على الصعيد الثقافي الفكري.
- ❖ المبحث الرابع: نتائج الحركة الاصلاحية في تونس على الصعيد التعليمي الديني.

# ❖ الفصل الثالث: انعكاسات الحركة الإصلاحية على المجتمع التونسي.

## ✓ المبحث الاول: نتائج الحركة الاصلاحية في تونس على المستوى السياسي.

### ✓ المطلب الاول: خطاب البشير صفر.

القى البشير خطابا[1] بصفته رئيس لجمعية الأوقاف وكان له أثر كبير على المجتمع التونسي، حيث نبه الى تردي الأوضاع التي كان يعاني منها الناس في مختلف الميادين، كان يشير الى تدهور وضع التجار والحرفيين واستيلاء المعمرين على الأراضي الخصبة وابعاد الأهالي، كما قدم بعض الإصلاحات المهمة مثل نشر التعليم ودعم الحرفيين والفلاحين بإحياء الأراضي وتمكينهم من القروض بشروط يسيرة، كانت رسالته واضحة حول ضرورة حماية الموارد الطبيعية والتعايش بين الأهالي والمعمرين لتفادي المجابهات والصراعات[2].

في الفترة التي اثار فيها خطاب بشير صفر غضب الصحف الفرنسية في تونس، وتحديدا صحيفة **"المعمر الفرنسي"** و**"تونس الفرنسية"**، كانت هناك ردود قوية من بعض الشخصيات الفرنسية في تونس، فقد برزت شخصية فيكتور دي كارنيار، رئيس جمعية المعمرين الفرنسيين كواحدة من أبرز الأصوات التي انتقدت خطاب بشير صفر واتهمته بالتشدد[3].

تأثر البشير صفر بشكل كبير بردود الأفعال القوية، حيث تم اعفاءه من منصبه كرئيس للأوقاف وتم نقله خارج العاصمة التونسية، وتم تعيينه واليا على سوسة[4].

---

[1] **خطاب البشير صفر**: أنظر الملحق رقم (5) مقتطفات من خطاب البشير صفر في حفل تدشين التكية.

[2] خليفة الشاطر وآخرون، المرجع السابق، ص67.

[3] أحمد القصاب، **"تاريخ تونس المعاصر 1881م–1956م"**، تع: حمادي الساحلي، ط1، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1986، ص 490.

[4] نفسه، ص 490.

هذه الواقعة تبرز أهمية الحرية الصحفية وحقوق الانسان في البلدان، فالصحافة تلعب دورا حيويا في نقل الاخبار والتعبير عن الآراء ومن الضروري احترام آراء الآخرين والسعي لفهم وجهات نظر مختلفة. وجد خطاب البشير صفر ترحيبا كبيرا خارج تونس، حيث نال اعجاب اليساريين والليبراليين الفرنسيين، وجذب انتباه رجال البرلمان والصحافة مثل جريدة لوطون الفرنسية وصحف اشتراكية أخرى، هؤلاء كانوا يطالبون باحترام الرغبات والحقوق الاجتماعية والإنسانية للتونسيين، وحتى تحقيق هذه الأهداف، تم التواصل مع الشباب التونسي لتوضيح أهدافهم ومطالبهم[1].

✓ **المطلب الثاني: مؤتمر مرسيليا.**

قام المقيم العام الفرنسي روني مييه بتنظيم مؤتمر في مدينة مرسيليا في سبتمبر 1906م بغرض دعم الاستعمار والتأكيد على سيطرة الاستعماريين على اقتصاديات المنطقة، حضر العديد من كبار الاستعماريين وتم دعوة الشباب التونسي للحضور، وقاموا بتعيين محمد الاصرم والعياشي كممثلين لهم، ومن الجدير بالذكر ان البشير صفر والشباب الوطني التونسي رفض المشاركة في هذا المؤتمر بسبب تصدير الهيمنة الاستعمارية، وقد اعتبر هذا المؤتمر خطوة في مساعي الفرنسيين لاستمرار سيطرتهم على المنطقة واستغلال مواردها[2].

طالب محمد الاصرم في مؤتمر مرسيليا عن أهمية نشر التعليم الفرنسي حتى في الكتاتيب القرآنية ودمج الأطفال العرب مع الفرنسيين منذ الصغر، كما دعا الى تبني الشباب التونسي للثقافة الفرنسية كوسيلة للتواصل بين العرب والفرنسيين[3]، وقد اشار أيضا الى أهمية تعليم مواكب للعصر، مثل التعليم

[1] خليفة الشاطر وآخرون، المرجع السابق، ص 68.

[2] الطاهر عبد الله، "**الحركة الوطنية التونسية، رؤية شعبية قومية جديدة 1830م–1956م**"، ط2، دار المعارف، تونس، د س ن، ص37.

[3] نفسه، ص37.

التقني والمهني ليستوعب المعرفة والتقنيات الحديثة ويساهم في تنمية البلاد بما يتناسب مع احتياجات العصر[1].

### ✓ المطلب الثالث: الحزب الدستوري الحر 1920م.

- **أولا: تأسيسه.**

في عام 1920م، قام الشيخ عبد العزيز الثعالبي بتأسيس الحزب الدستوري الحر كوسيلة للمطالبة بتأليف حكومة وطنية تكون مسؤولة امام الشعب، كان الهدف الرئيسي للحزب هو تحسين أوضاع البلاد تحت الحماية الفرنسية، رغم نشوة الانتصار الفرنسي وتعنت بعض الأطراف، نجح الحزب في نشر رسالته والعمل على تحقيق أهدافه، كان تأسيس الحزب خطوة مهمة نحو تحقيق الاستقلال والحرية للبلاد، وهو خطوة تمثلت في عمل الشيخ الثعالبي بإعلان تأسيس الحزب وتبنيه برنامجا سياسيا مناهضا للوضع الحالي، تعتبر هذه الخطوة اعترافا ضمنيا بنظام الحماية ولكنها كانت أيضا خطوة نحو تحقيق الاستقلال المنشود[2].

- **ثانيا: مطالبه.**

من بين المطالب التي تبناها الحزب الدستوري الحر كانت قبول التونسيين في جميع الوظائف، وتحقيق المساواة في المرتبات بينهم وبين الفرنسيين، كما ركز الحزب على مشاركة التونسيين للمعمرين في شراء الأراضي، كما يعكس رؤية اجتماعية تهدف الى تعزيز المساوات والعدالة الاجتماعية، ولكن تعدى نشاط الحزب الدستوري الحر الى الجانب الإصلاحي، حيث سعى لتقويم سلوكات المجتمع التونسي من خلال جهوده الحثيثة، مما دفع بالمحتلين لملاحقته وجعله عرضة للمتابعة، مما اثر سلبا على مسيرة الحركة الوطنية بشكل عام والحزب الدستوري بشكل خاص[3].

---

[1] خلفة الشاطر وآخرون، المرجع السابق، ص67.

[2] د- عطية محمد، "**تاريخ تونس المعاصر 1881م-1956م**"، حامل بيداغوجي موجه لطلبة سنة أولى ماستر تاريخ تخصص مغرب عربي معاصر، جامعة عمار ثليجي، الاغواط، الجزائر، 2020م-2021م، ص57.

[3] الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص57.

## ✓ المبحث الثاني: نتائج الحركة الاصلاحية في تونس على الصعيد الاقتصادي.

عندما تم احتلال البلاد التونسية، بدأت البنية الاقتصادية تتغير بشكل كبير، كانت الصناعات المحلية تعتمد على الطرق التقليدية في عملية الإنتاج ولم تتمكن من تلبية احتياجات السوق بشكل فعال، عند دخول المنتجات الأوروبية الى السوق التونسية شهد الاقتصاد التونسي تحولا كبيرا نحو الرأسمالية العالمية وتميزت الصناعات التونسية بالتقليدية في قطاعات مختلفة مثل النسيج وتجفيف المنتجات الفلاحية، مما أدى الى انتشار الحمالة الموسمية، كانت هذه الفترة من اهم المراحل في تطور الاقتصاد التونسي وتأثرت بشكل كبير بتدخل العوامل الاقتصادية المحلية والعالمية.

في سنة 1881م، سعت السلطات الفرنسية الى تحقيق مشروعها الاستعماري في البلاد وكانت تركز على استغلال المنتجات الفلاحية والمواد الأولية المنجمية، حيث قامت السلطة الفرنسية بتنفيذ العديد من الإصلاحات، منها العمل على بناء البنية التحتية وتم انشاء شبكات طرق وسكك حديد تربط بين المدن الكبرى والموانئ الهامة، كان الهدف الرئيسي لهذه البنية هو السيطرة على حركة السكان ونهب مقدرات البلاد، هذه الخطوة كانت جزء من المخطط الأمني الذي وضعته الإدارة الفرنسية لضمان استمرارية سيطرتها على البلاد[1].

كانت تونس تعاني من استغلال خيراتها من قبل السلطات الاستعمارية التي أنشأت شركات كبرى تهدف الى تحقيق أرباح كبيرة من استثمار الموارد المحلية التي تم انتدابها للعمل في هذه الشركات بأجور منخفضة مقارنة بالعمالة الأجنبية[2] التي كانت تتمتع بمزايا اكثر، وكانت سياسة الاستيطان الفرنسية تؤثر بشكل كبير على الاقتصاد التونسي حيث كانت تهدف الى تعزيز مصالحها التجارية على حساب تطوير الاقتصاد المحلي وكانت السياسة الاقتصادية الفرنسية تسعى الى جعل تونس سوقا

[1] د- عطية محمد، المرجع السابق، ص33.

[2] لطفي الشايبي، "**الحركة الوطنية التونسية والمسألة العمالية النقابية 1894م-1956م**"، ج1، مركز النشر الجامعي، تونس، 2010، ص ص 9-10.

للمنتجات الفرنسية[1]، مثل صناعة الشاشية التي تصدر من فرنسا وتباع في تونس، وهذا أدى الى تأثير سلبي على الوضع الاجتماعي للعمالة المحلية وزيادة الفجوة بينها وبين العمالة الأجنبية[2].

لم يقتصر الامر عند هذا الحد، فبدأت المنتوجات الإنجليزية في الوصول الى السوق المحلية في فرنسا في عام 1918م، وبدأ الفرنسيون في احتكار هذا القطاع حيث عملوا على استيعاب احتياجات السوق من تنوع الملابس والألوان بأسعار زهيدة مما سد أي مجال للمنافسة[3]، كما استثمروا في الصناعات الاستخراجية والتحويلية عن طريق استغلال المناجم[4] ومنح الشركات الاحتكارية الفرنسية تراخيص بشروط محددة، انه جهد ملحوظ لتطوير القطاع الصناعي وتعزيز الاقتصاد المحلي[5].

## ✓ المبحث الثالث: نتائج الحركة الإصلاحية في تونس على الصعيد الثقافي الفكري.

### ✓ المطلب الأول: النشاط الصحفي التوعوي.

نشأ النشاط الصحفي في تونس في سياق انتشار الحركة الإصلاحية والسياسية في البلاد, تم اصدار قانون للصحافة عام 1884م تحت ضغط من الحكم الفرنسي، مما أدى الى تعزيز حرية الصحافة والنشر ولكن بشروط تنظيمية صارمة وضمانات مالية, كما كانت هناك تبعات قانونية للصحف في حالة عدم الامتثال للضوابط المحددة, يعتبر تاريخ النشاط الصحفي في تونس مهما, حيث كانت الصحافة تلعب دورا مهما في إشاعة الوعي السياسي والاجتماعي بين الناس, هذه البدايات المبكرة للنشاط الصحفي في تونس أثرت على التطور اللاحق لحرية الصحافة في البلاد ومن بين الصحف التي برزت في هذه الفترة هي:

- **أولا: جريدة الحاضرة**

[1] الحبيب ثامر، المرجع السابق، ص50.
[2] عبد العزيز الثعالبي، المرجع السابق، ص50.
[3] الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص81.
[4] الحبيب ثامر، المرجع السابق، ص50.
[5] خليفة الشاطر وآخرون، المرجع السابق، ص54.

كانت اول جريدة غير رسمية تصدر في تونس في اوت عام 1888م، وكانت تعمل على تسليط الضوء على القضايا المهمة التي تهم الشعب التونسي، قام بإدارتها علي بوشوشة، وكانت تعتبر جريدة معتدلة لا تنتقد السلطة بقوة ولكنها تطرح القضايا بلطف ودبلوماسية.

كما دافعت الحاضرة عن مصالح التونسيين ونادت بضرورة اصلاح الوضع في البلاد وكانت تسعى لتوزيع عادل للجباية وتحسين التعليم في تونس، لقد جذبت الجريدة مجموعة من المثقفين التونسيين مثل البشير صفر ومحمد بلخوجة، وكانت تحظى بدعم من عدد من الشخصيات المؤثرة في البلاد، بهذه الطريقة كانت جريدة الحاضرة تلعب دورا مهما في نقل الأفكار والقضايا الهامة الى الجمهور وفي دفع عجلة الإصلاح في تونس[1].

- **ثانيا: جريدة الزهرة**

ظهرت جريدة الزهرة في عام 1890م وهي جريدة سياسية أدبية تجارية أسسها عبد الرحمان الصنادلي[2]، كانت تعتبر من الجرائد الناقدة لنظام الحماية وكان لها دور كبير في ايقاظ الرأي العام التونسي وتبصيرهم بحقوقهم ومناهضة الاستعمار.

- **ثالثا: جرائد أخرى**

نشط العمل الصحفي أكثر بعد جريدة الحاضرة والزهرة، اذ عرفت البلاد التونسية صحفا أخرى منها:

**"نتائج الاخبار والبستان** "التي تأسست سنة 1888م و**"البصيرة"** سنة 1892م و**"سبيل الرشاد"** سنة 1895م و**"لسان الحق"** سنة 1896م و**"المعارف باللغة العربية"** سنة 1906م

[1] د- محمد سريج، **"موقف التونسيين من فرض نظام الحماية الفرنسية 1881م-1912م"**، مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد 9، العدد 1، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، الجزائر، ص 671.

[2] **عبد الرحمن الصنادلي (1850م-1935م)**: ولد بتونس من أسرة جزائرية هاجرت الى البلاد التونسية قبل انتصاب الحماية في 1881م، وبعد ان زاول دراسته بجامع الزيتونة تحول الى القاهرة حيث التحق بجامع الأزهر لمواصلة دراسته العليا، أنظر: طيبي عماري، **"الدراسات والبحوث في المجتمع والتاريخ"**، مجلة المواقف، ع7، الجزائر، ديسمبر 2012، ص203.

و"**التونسي باللغة الفرنسية**" عام 1907م و"**اللواء**" سنة 1910م و"**المثير**" سنة 1911م، لعبت هذه الصحف دورا مهما في ايقاظ الرأي العام التونسي، وكانت تدعم الحركات الوطنية وتنبذ الاستعمار وتعبر عن تضامنها مع الامة الإسلامية في مواجهة التخلف والظلم الاستعماري[1].

✓ **المطلب الثاني: النشاط الجمعوي.**

- **أولا: الجمعية الخلدونية ونشاطها**

تأسست الجمعية الخلدونية في عهد المقيم العام روني ميبه في 21 ديسمبر 1896م بالعاصمة التونسية رئيسها محمد الاصرم، كانت تهدف الى التحاق اكبر عدد من التونسيين بالمدارس الفرنسية في البلاد، كانت الجمعية تسعى أيضا الى تطوير المستوى التعليمي عن طريق عصرنة طرق التدريس لتحصيل مختلف العلوم والمعارف، وانشاء مكتبات علمية في مختلف مدن البلاد، من أهدافها أيضا تسهيل استكمال التونسيين لمشوارهم الدراسي وتحسين مستواهم العلمي، بالإضافة الى تأسيس مجلة التواصل الحضاري بين الشرق والغرب[2]، تعتبر الجمعية الخلدونية من الجهات الرائدة في دعم التعليم والتعلم في تونس، كما استطاعت ان تخرج جيلا متعلما ومثقفا رغم المعارضة من طرف الجهات المحافظة من بينهم جماعة الزيتونة، فقد تخرج سنة 1908م مائة وسبعون طالبا بشهادات مؤهلة للتوظيف في الحكومة يعطي الأولوية للشهادة الخلدونية[3].

- **ثانيا: الجمعية الصادقية ونشاطها**

[1] د- محمد سريج، المرجع السابق، ص672.

[2] محمد بوطيبي، "**الجمعية الخلدونية التونسية بين الرمزية التاريخية والمشروع العلمي التونسي**"، في مجلة الافاق الفكرية، مج6، العدد 2، 2018، ص ص 23-38.

[3] نفسه، ص 30.

تأسست جمعية المدرسة الصادقية (قدماء المعهد الصادقي)[1] في أواخر عام 1905م من قبل الشيخ خير الله بن مصطفى[2]، بهدف تطوير الحياة التونسية وتعزيز التقدم الاقتصادي والرقي الثقافي داخل المجتمع وظهر ذلك جليا من خلال تصريح علي باشا حامبة (1846م-1918م) عندما قال "**انه لبلوغ ذلك علينا أولا ان نجتهد في الحفاظ على الفكر التجديدي وفي الآن نفسه نعمل على تنميته لدى رفقائنا ثم نشره بين عامة الناس**"، كانت الجمعية تنظم محاضرات ونشاطات متنوعة لرفع الوعي الاجتماعي وتغيير الفكر الجماعي نحو تحقيق التقدم والازدهار، كما قامت بتأسيس مدرسة عصرية بنمط أوروبي لرفع مستوى التعليم في المنطقة وتميزت الجمعية بنشاطها الثقافي والتعليمي والعلمي، وقد تم انتخاب عبد الجليل زاوش كرئيس لنادي تونسي تابع للجمعية، حيث كان هذا النادي يركز على الجوانب العلمية دون التورط في الشؤون السياسية[3].

## ✓ المبحث الرابع: نتائج الحركة الاصلاحية في تونس على المستوى التعليمي الديني.

### ✓ المطلب الاول: جامع الزيتونة.

- **أولا: نشأته وأصل تسميته.**

#### 1. نشأته:

يعتبر جامع الزيتونة[4] من بين اقدم الجوامع التي بنيت بالشمال الافريقي والمغرب العربي[1], وهو افخر مؤسسة اسلامية بتونس[2], وثاني جامع بني بعد جامع عقبة بن نافع الفهري بالقيروان, حيث

---

[1] **المعهد الصادقي**: أسسه الوزير المصلح خير الدين باشا في 1875م في عهد الصادق باي، جاء لتدريس العلوم العصرية واللغات الاجنبية، كان أول مدير لها محمد العربي زروق، أنظر: جمعية عليوي فرحان الخفاجي، وسام هادي عكار عظيم: "**السياسة الفرنسية حيال تونس 1881-1914**"، مجلة الاستاذ، ع84، 2015، ص265.

[2] **خير الله بن مصطفى**: ولد بمدينة تونس في 23 سبتمبر 1867م، تميز خير الله بن مصطفى باهتماماته العلمية المتعددة فقد ألف كتابا في مناهج التدريس، وواصل تحصيله العلمي بالمدرسة العليا للغات والآداب العربية، أنظر: عبد الكريم عزيز، "**نضال شعب أبي تونس 1881م-1956م**"، د ظ، مركز النشر العلمي، د م ن، 2005، ص 139.

[3] حبيب حسن اللولب، المرجع السابق، ص 60.

[4] انظر الملحق رقم (6) مخطط هندسة جامع الزيتونة.

اختلفت الروايات حول معرفة من قام ببناء الجامع الذي اصبح رمزا لتونس, فذهب عبد الرحمن ابن خلدون في كتابه "**العبر**" والبكري في كتابه "**المسالك والممالك**" الا ان الجامع تم بناءه من قبل عبد الله بن الحبحاب[3] سنتي 114هـ/732م الى 116هـ/734م, وتبعهم في الرأي حسن حسني عبد الوهاب, في كتابه "**خلاصة تاريخ تونس**" الا انه من بين المآثر المهمة التي خلفها بن الحبحاب هو بنائه لجامع الزيتونة سنة 116هـ، أما أحمد بن أبي الضياف في كتابه "**إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**" يرى ان جامع الزيتونة قد بني على يد حسان بن نعمان سنة 84هـ[4].

## 2. أصل التسمية:

اختلفت الروايات حول أصل تسمية جامع الزيتونة، فهناك من ذهب بالقول انه سمي بالزيتونة ليكون نورا تضاء به افريقيا، لقوله تعالى:" **الله نور السماوات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليـــــم**"[5] سورة النور، الآية 35.

---

[1] جمعة بن زروال، "**نشاط طلبة جامع الزيتونة في الحركة الوطنية التونسية من 1881م إلى غاية 1956م**"، مجلة الإحياء، مج 20، عدد 27، 2020، ص731.

[2] الطاهر عبد الله، "**الحركة الوطنية التونسية (1830م–1956م)**"، منشورات دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، ص219.

[3] **عبد الله الحبحاب**: هو مولى بن سلول، كان رئيسا نبيلا بارعا في الفصاحة والخطابة، وهو الذي بنى المسجد الجامع وأدار الصناعة بتونس، أنظر: محمود شيت خطاب، "**قادة فتح المغرب العربي**"، ج1، دار الفكر، د م، 1974م، ص ص 172-205.

[4] لوافي سمية، "**نشاط الطلبة الجزائريين الفكري والثقافي بتونس (1930م–1962م) جامع الزيتونة آنموذجا**"، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامع جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، 2014-2015م، ص 16-17.

[5] سورة النور، الآية 35، برواية ورش.

وفي روايات اخرى يذكر المؤرخون ان الجامع كانت به زيتونة حول صومعة الجامع، كان يتعبد بها راهب نصراني عند نزول المسلمين الأوائل بتونس[1]، وتزعم رواية أخرى انه عندما تم فتح قرطاجنة من طرف المسلمين وجدوا زيتونة منفردة في موضع المسجد فقالوا هذه تونس وأطلق على المسجد اسم جامع الزيتونة[2].

- **ثانيا: التطور العلمي لجامع الزيتونة.**

### 1. نظام التعليم في جامع الزيتونة:

كان نظام التعليم في جامع الزيتونة يعتمد على دروس العلوم الشرعية والعقلية، حيث كانت العلوم الشرعية تشمل الفقه وأصول الفقه، بينما كانت العلوم العقلية تشمل المنطق والرياضيات والفلك بالإضافة الى اللغة مثل النحو والصرف، تم تقسيم هذه العلوم وفق مستويات التعليم الابتدائي والثانوي التعليم العالي[3].

في الجامع كانت حالة التعليم تتبع نظاما شبيها بالاختيارية، حيث كان المدرس يحدد المواد التي يرغب في تدريسها، والطلاب يختارون المدرسين والمواد التي يرغبون في دراستها، مما يسمح لهم باختيار التخصص الذي يرونه مناسبا لهم، كان النظام الاختياري مفيدا لتلبية احتياجات وقدرات الطلاب بشكل فعال[4].

### 2. أشهر علماء جامع الزيتونة:

### 2-1. محمد الطاهر بن عاشور (1879م-1973م):

[1] محمد بن خوجة، "**صفحات من تاريخ تونس**"، تح: حمادي الساحلي والجيلاني بن الحاج يحي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986، ص284.

[2] ابن ابي الدينار، "**المؤنس أخبار افريقية وتونس**"، ط1، المطبعة التونسية، تونس، 1962، ص8.

[3] محمد بن خوجة، المرجع السابق، ص292.

[4] محمد الطاهر ابن عاشور، "**أليس الصبح بقريب**"، ط1، دار سحنون، تونس، 2006، ص 132.

كان عالما وفقيها تونسيا من مواليد عام 1879م، اشتهر بكتابة العديد من المؤلفات في مجالات العلم والمعرفة، ومن أبرز اعماله "**تفسير التحرير والتنوير**", حصل على شهادة التطويع في عام 1899م، وتولى منصب مشيخة جامع الزيتونة في عام 1932م[1]، وتوفي عام 1973م[2]، حيث ترك مساهمات في الفقه والتفسير ولا يزال اسمه محفورا في تاريخ العلماء الاسلاميين.

### 2-2. عبد العزيز الثعالبي (1874م-1944م):

هو عالم دين وفقيه جزائري ولد في تونس عام 1874م[3]، نشأ في اسرة ملتزمة بالعلم والدين وتلقى تعليمه الاولي في المدارس التونسية التي كانت تديرها الحكومة الفرنسية، تعلم القرآن الكريم والنحو والادب في سن مبكرة، ثم التحق بجامع الزيتونة لدراسة العلوم الدينية واللغوية، كانت له مساهمات في الفقه وعلوم الرياضيات والفلك، كما تأثر بمعلميه من بينهم الشيخ بن الخليل والشيخ اسماعيل الصفايحي[4]، ترك بصماته في الحياة الدينية والثقافية، ويعتبر من العلماء البارزين في تاريخ الجزائر وتونس، من ابزر مؤلفاته نذكر ما يلي:

- **تونس الشهيدة.**
- **معجزات محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.**
- **محاضرات في التفكير الاسلامي**[5].

### 2-3. محمد الفاضل بن عاشور (1909م-1970م):

---

[1] محمد بن سعد بن عبد الله القرني، "**الإمام محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في توجيه القراءات**"، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، ص31.

[2] الصادق الزمرلي، المرجع السابق، ص367.

[3] كريمة بن عبد الكريم ونورة مبخوت، "**عبد العزيز الثعالبي، دوره في الحركة الوطنية التونسية 1874م-1944م**"، مذكرة مكملة لشهادة الماستر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة أحمد دراية، ادرار، الجزائر، 2019، ص23.

[4] حمادي الساحلي والمنصف الشنوفي، "**موسوعة الأعلام والعلماء والأدباء العرب والمسلمين**"، ط1، دار الجيل، لبنان، ص812.

[5] نفسه، ص816.

محمد الفاضل بن عاشور نسبة الى آل عاشور, وهو شخصية تونسية بارزة في العلم والدين, ولد في تونس عام 1909م, ونشأ في بيئة محافظة تعلم فيها القرآن الكريم والآداب, درس بجامع الزيتونة سنة 1932م[1]، كما شارك في مجلس التعريف بالمخطوطات الزيتونية والإصلاح التعليم الزيتوني، تألق في مجال التفسير والفكر الإسلامي، وعين في مناصب عدة في القضاء والتعليم, توفي عام 1970م بعد معاناة من مرض العضال, وتولى والده الشيخ محمد الطاهر بن عاشور إمامة الصلاة عليه[2]، ويعتبر من بشر بالدعوة والتربية في تونس, وترك بصمة قوية في الفكر الإسلامي المعاصر, ومن ابرز مؤلفاته:

- **التفسير ورجاله.**
- **تراجم الاعلام.**
- **أعلام الفكر الإسلامي في المغرب العربي.**

### 3. أهم مؤسسات الجامع:

جميعنا يعرف أهمية العلم والمعرفة في حياتنا, ولذلك كانت الجوامع والمساجد مكانا للعلم والدراسة والبحث, كانت تحتوي المكتبات في الجوامع على مجموعة واسعة من الكتب تتنوع ما بين الدينية والعلمية والثقافية, كانت هذه المكتبات تعتبر مرجعا للطلاب والمهتمين بالمعرفة, حيث كانت تحتوي على العديد من الكتب التي تساعد على توسيع المعرفة والثقافة، وكانت تشكل مصدر إلهام للطلاب, وبفضل دعم العلماء والاثرياء تم اثراء هذه المكتبات بمزيد من الكتب والمراجع[3]، مما جعلها

---

[1] ريحانة بوعكاز وهاجر معزيز، "**دور المؤسسات الدينية المغاربية في مقاومة الاستعمار الفرنسي– جامع الزيتونة والقرويين نموذجا– دراسة تحليلية مقارنة**"، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي، الجزائر، 6 أكتوبر 2020م، ص14.

[2] محمد أحمد الجمل، "**اختبارات الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور في كتابه (التفسير ورجاله) دراسة نقد**"، مجلة دار العلوم، جامعة القاهرة، عدد 121، 2020، ص855-857.

[3] أحمد أمين، "**ظهر الإسلام**"، ج2، ط3، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1962، ص222.

مكانا مثاليا للبحث والدراسة، وبهذا أصبحت مكتبات الجوامع تعتبر مركزا حضاريا مما يساهم في نشر العلم والمعرفة بين الناس, ومن بين أهم مكتبات ومعالم الزيتونة نذكر ما يلي:

### 3-1. المكتبة الأحمدية:

تأسست عام 1840م على يد أحمد باي الأول، وكانت معروفة بتجهيزاتها القيمة التي بلغت 2527 مجلدا، كان احمد باي من اهم الشخصيات في اثراء مخطوطات جامع الزيتونة، حيث نقل العديد من المخطوطات من مسجد الباشا وأضاف اليها كتب الوزير حسين خوجة، اشتهرت المكتبة أيضا باقتنائها مجموعة مكتبة الشيخ إبراهيم الرياحي بعد وفاته في عام 1849مو وقد عرفت المكتبة الاحمدية في عهد الأمير محمد صادق باشا مزيدا من الاثراء والتوسع، حيث وصل عدد المخطوطات فيها الى 6975 مجلدا مع إضافة كتب الوزير مصطفى خرندار[1].

### 3-2. فهرس مخطوطات المكتبة الاحمدية (خزانة الجامع):

يعتبر فهرس المخطوطات جزء مهم وقيم في المكتبة الاحمدية، حيث يضم تشكيلة واسعة من المواضيع الثقافية والدينية والعلمية، يحتوي الفهرس على مجموعة متنوعة تضم الادب واللغة والعروض والنحو والصرف، بالإضافة الى التاريخ والتراجم والمنطق وادب البحث والوعظ والنصوص، كما يتناول الفهرس الفقه والفرائض والوثائق والهندسة والطب والمصاحف والقراءات والتفسير والسيرة النبوية[2].

### 3-3. المدرسة الخلدونية

المدرسة الخلدونية كانت احد المعاهد التعليمية الرائدة في تونس حيث أنشأت لخدمة الزيتونة وتأهيل الطلبة للالتحاق بالجامعات العربية, تدرس فيها العلوم العصرية مثل الرياضيات والكيمياء بالإضافة الى الجغرافيا والتاريخ[3]، تأسست هذه المدرسة في 18 رجب 1314هـ/1896م[1]، بقرار

---

[1] محمد أبو الاجفان، **"وضعية المخطوطات العربية"**، د ط، تونس، د س، ص96.

[2] عبد الحفيظ منصور، **"فهرس مخطوطات المكتبة الاحمدية بتونس"**، ط1، دار الفتح، بيروت، 1969، ص9.

[3] الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص222.

من جناب الوزير الأكبر القاضي بتأسيسها، بهدف تعزيز المعرفة وتطوير الثقافة باللغة العربية, كانت هذه المدرسة تحمل اسم الفيلسوف ابن خلدون, وتعتبر محطة مهمة في رحلة الطلبة نحو تحقيق النجاح في الدراسات العليا, تعكس المدرسة الخلدونية التزام الزيتونة بالتعليم وتطوير المجتمع من خلال تقديم التعليم الحديث والشامل للطلبة[2].

### 3-4. المدرسة الصادقية

تأسست المدرسة الصادقية في تونس في عام 1875م وكانت تحت إدارة العربي زروق، وفي بداية تأسيسها كان عدد التلاميذ 167 تلميذا، كانت المدرسة مركزا هاما لتعليم الثقافة العربية والإسلامية بشكل عصري[3]، كما كانت تعنى بتدريس مختلف اللغات الأجنبية مثل التركية والإيطالية[4]، كان الهدف من تدريس مختلف هذه اللغات هو اعداد الطلاب للسفر الى فرنسا لاستكمال دراستهم العالية وقد قامت المدرسة الصادقية بتخريج اجيال من الشبان المثقفون الذين كانوا يجيدون اللغة الفرنسية والعربية معا، بالإضافة الى بعض العلوم الدينية والآداب[5].

ينقسم التعليم في هذه المدرسة الى 3 مراحل رئيسية لضمان تحصيل علمي شامل, تبدأ بالمرحلة الابتدائية التي تستمر لمدة اربع سنوات, حيث يتم فيها حفظ القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف بالإضافة الى تعلم القراءة والكتابة واللغة, ثم تأتي المرحلة الثانوية التي تمتد لخمس سنوات, وتركز على دراسة اللغة العربية والعلوم الشرعية, متبعة بالمرحلة العليا التي تمتد لسبعة سنوات وتشمل

---

[1] محمد علي أذرشب، "**الزيتونيون والشعر التونسي الحديث**"، ثقافتنا للدراسات والبحوث، المجلد 5، العدد 17، 1439، 2007، ص194.

[2] محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ص91.

[3] عبد القادر الجبيري، "**الطلبة الجزائريين واسهاماتهم في الحركة الوطنية (1900م-1954م)**"، مذكرة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ معاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة العربي التبسي، تبسة، 2015-2016، ص48.

[4] محمد علي أذرشب، المرجع السابق، ص194.

[5] محمد عابد الجابري، "**التعليم في المغرب العربي، دراسة تحليلية نقدية لسياسة التعليم في المغرب وتونس والجزائر**"، دار النشر المغربية، الدار البيضاء،1989، ص71.

دراسة اللغة الأجنبية والعلوم الرياضية, الهندسة, العلوم الطبيعية, هذه المراحل الثلاث تهدف الى تطوير شامل للمعرفة والمهارات لدى الطلاب وصقل قدراتهم العقلية والفكرية[1].

✓ **المطلب الثاني: الزوايا والكتاتيب.**

- **أولا: الزوايا**

اعتبرت الزوايا من المراكز العلمية الهامة في البلاد التونسية التي كان يتلقى فيها التلاميذ التعليم ومن بين الزوايا نذكر:

**1. زوايا الطريقة الشاذلية والمدنية:**

تعتبر الطريقة الشاذلية من الطرق الصوفية الهامة التي نشأت في شمال افريقيا وهي متفرعة من القادرية، أسس الشيخ أبو الحسن علي بن عمار زاويتها الأولى بمعية الشيخ محمد الامام المنزلي، ومن ثم نشأت الطريقة المدنية عن الشاذلية لمؤسسها ظافر المدني، واسس عدة زوايا خاصة بمدينة طرابلس الغرب، واسس زاوية الشيخ ابي عبد الله في صفاقس[2].

**2. زوايا الطريقة الرحمانية والتيجانية:**

تنسب الطريقة الرحمانية لمؤسسها محمد بن عبد الرحمان، وهي احدى الطرق الصوفية، حيث أنشأ يوسف بوحجر زاوية رحمانية في الكاف وأصبحت الزاوية الام للطريقة في تونس، اما الطريقة التيجانية فتعود الى مؤسسها سيدي احمد التيجاني الذي اعتنقها خلال زيارته للمغرب ونشرها في تونس بمساعدة الشيخ إبراهيم الرياحي، وقد أسس اول زاوية لهذه الطريقة قرب حوانيت عاشور في تونس[3].

- **ثانيا: الكتاتيب.**

[1] عبد القادر جبيري، المرجع السابق، ص49.

[2] التليلي العجيلي، "**الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية 1881م-1939م**"، م3، د ط، منشورات كلية الآداب بمنوبة، تونس، 1992، ص ص 39، 42.

[3] نفسه، ص ص 43، 51.

ان المرحلة الأولى من التنشئة والتعليم هي المرحلة الأهم في حياة الطفل, حيث يتعلم فيها القيم والمبادئ الأساسية التي تشكل شخصيته في المستقبل, يتلقى الطفل في هذه المرحلة التعليم في الكتب والكتاتيب، حيث يبدأ أولا بحفظ القرآن ويتعلم القراءة والكتابة والمبادئ الأولية للعلوم والرياضيات, يلعب المؤدب دورا مهما في تربية الأطفال سلوكيا وتعليمهم القيم الإسلامية والعربية, تختلف الكتاتيب حسب نوعيها, اذ هناك كتاتيب عامة وأخرى خاصة, فالنوع العام يدفع الأهالي مقابل تعليم أولادهم , مقابل تافه يدفعه الآباء للمؤدب, والخاص يتم بدفع اجرة للمعلم من قبل أصحاب المنزل, وتهتم ربة المنزل بكافة احتياجات المعلم وتلاميذه من مأكل ومشرب وملبس، ويكون التلميذ ملزما بتقديم هدية للمعلم في بداية العام الدراسي[1]، ويحمل التلميذ في اول أيامه في الكتاب بعض النقود الى المؤدب ويعرفه بنفسه, فيعطي له لوح خاص باسمه يطلى بالطفل وعندما يجف يكتب عليه بالقلم الجاف, تكتب البسملة وبعض الحروف قبل ان يبدأ في تعلم القراءة والكتابة[2].

[1] محمد العزيز ابن عاشور، "**جامع الزيتونة، المعلم ورجاله**"، دار ستراس للنشر، تونس، 1991، ص95.

[2] سكينة عصامي، "**آليات ومناهج تعليم الكتاتيب بالجريد التونسي من بداية القرن التاسع عشر الى سنة 1889م**"، جامعة صفاقس، تونس، ص117.

# خـــاتمـة

بعد دراستي لموضوع الحركة الإصلاحية في توتس 1859م-1920م خلصت في النهاية الى مجموعة من النتائج أهمها:

1. تعتبر الحركة الإصلاحية من العوامل الرئيسية التي ساهمت في تقدم ونهضة البلاد التونسية، فقد قامت هذه الحركة بتنفيذ إصلاحات هامة لمؤسسات الحكم مما أدى الى تحسين الوضع السياسي والاقتصادي في البلاد، كما كان وراء هذه الحركة الإصلاحية عوامل متعددة بعضها كان داخليا مثل تطلعات الشعب التونسي نحو الحركة والعدالة، وبعضها كان خارجيا مثل التأثيرات العالمية والإقليمية التي دفعت بالبلاد نحو الإصلاح، لذلك يمكن القول بأن الحركة الإصلاحية لعبت دورا هاما في تقدم تونس وتحقيق تطلعات الشعب نحو مستقبل أفضل.
2. بعد ظهور الحركة الإصلاحية في تونس قادها مجموعة من المصلحين الذين سعوا الى تحقيق تغيرات شاملة في العديد من المجالات حيث تركزت الإصلاحات على الجوانب السياسية والاقتصادية والثقافية بهدف الخروج من التخلف والانحطاط والارتقاء في البلاد نحو التقدم والازدهار، كانت الأوضاع الصعبة التي عاشتها تونس حافزا لهذه الحركة، حيث كانت تسعى الى الحفاظ على استقلالها وسيادتها وتحسين أوضاع شعبها، من خلال تنفيذ الإصلاحات، نجحت تونس في تحقيق تقدم وتطور في مختلف المجالات والاستمرار في الارتقاء بمستوى حياة مواطنيها.
3. تأثر الحكم في تونس بعوامل سياسية واقتصادية تسببت في ظهور دور الحكام الإصلاحيين من أمثال محمد صادق باي (1859م-1882م) الذي أولى عناية خاصة بالجانب السياسي من خلال قيامه بتجديد المجلس الأكبر وصدور دستور 1861م في عهده لحماية الحريات الشخصية وتعزيز المساواة، بينما قام محمد بيرم الخامس (1840م-1889م) بالإشراف على إدارة الأوقاف 1874م والمطبعة الرسمية وإصدار صحيفة الاعلام بجانب إصلاحات أخرى، الى جانب المصلح خير الدين التونسي (1849م-

1879م) الذي شهد عصره نهضة إصلاحية هامة من خلال فلسفته النهضوية، كان يعتقد بأن التنظيمات لا تتعارض مع الشريعة الإسلامية بل تتوافق معها، وأكد على أهمية احترام سيادة الحكام الداخلية لتونس رغم الانتماء للدولة العثمانية، من جانب آخر قام بإصدار قانون الخماسة الذي حدد حقوق وواجبات الفلاحين وخفض الضرائب وتنظيم الوظائف الحكومية، تلك الإصلاحات اثرت بشكل كبير على الحياة الاقتصادية والاجتماعية في تونس وساهمت في تحقيق التقدم والازدهار.

4. يعتبر جامع الزيتونة بتونس مركز علمي وثقافي وله دور هام في تعزيز الجانبين السياسي والثقافي في تونس، في العقود الأولى من تأسيسه لعب دورا هاما في تنمية الفكر الوطني والحضاري في البلاد، وقد ساهم علماء الجامع وخاصة حسين خضر و طاهر بن عاشور في اثراء المكتبة التونسية بأعمالهم الفكرية والثقافية، كما قاموا بتقديم المحاضرات والدروس الهامة في المدرسة الصادقية والخلدونية لنشر الوعي والمعرفة بين الشباب الزيتونيين، بفضل هذا الدور الكبير لجامع الزيتونة ،نرى تأثيرا ملحوظا على الحياة الثقافية والسياسية في تونس على مدى العقود القليلة الماضية.

5. بعد ارتباط الوضع الثقافي في تونس بالمؤسسات التعليمية والصحف التي ساهمت في نشر المعارف وتثقيف المجتمع، ازدهرت الحياة العلمية والثقافية بتونس وذلك قبل الحماية حيث استطاعت أن تنشأ بها جمعيات علمية وبعد فرض الحماية الفرنسية أدخلت إصلاحات جديدة على المؤسسات التعليمية في تونس.

6. ولا ننسى الزوايا والكتاتيب التي اعتبرت من المراكز العلمية التي لها دور هام في البلاد التونسية حيث كان التلاميذ يتلقون فيها التعليم.

7. أما فيما يخص النشاط الصحفي والجمعوي فقد كان لهم دورا ثقافيا بارزا في نشر الأفكار والقيم، حيث كانت المؤسسات العلمية في تونس مزدهرة اثناء فترة الحماية وهذا ظهر

واضحا من خلال انشاء مدارس تعليمية وجمعيات فكرية بها التي كان لها الدور في نشر الثقافة العصرية.

# قائمة الملاحق

## الملحق رقم (1): شخصية محمد صادق باي.[1]

[1] أمال مكسور، خثير صافي، الحركة الإصلاحية بتونس في النصف الثاني من القرن 19 (1850م-1881م)، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة احمد دراية، أدرار، 2019-2020، ص39.

## الملحق رقم (2): المدرسة الصادقية.[1]

المدرسة الصادقية

[1] محمد بن خوجة، المرجع السابق، ص318.

**الملحق رقم (3): شخصية محمد بيرم الخامس.**[1]

[1] أمال مكسور، خثير صافي، المرجع السابق، ص37.

**الملحق رقم (4): شخصية خير الدين التونسي.**[1]

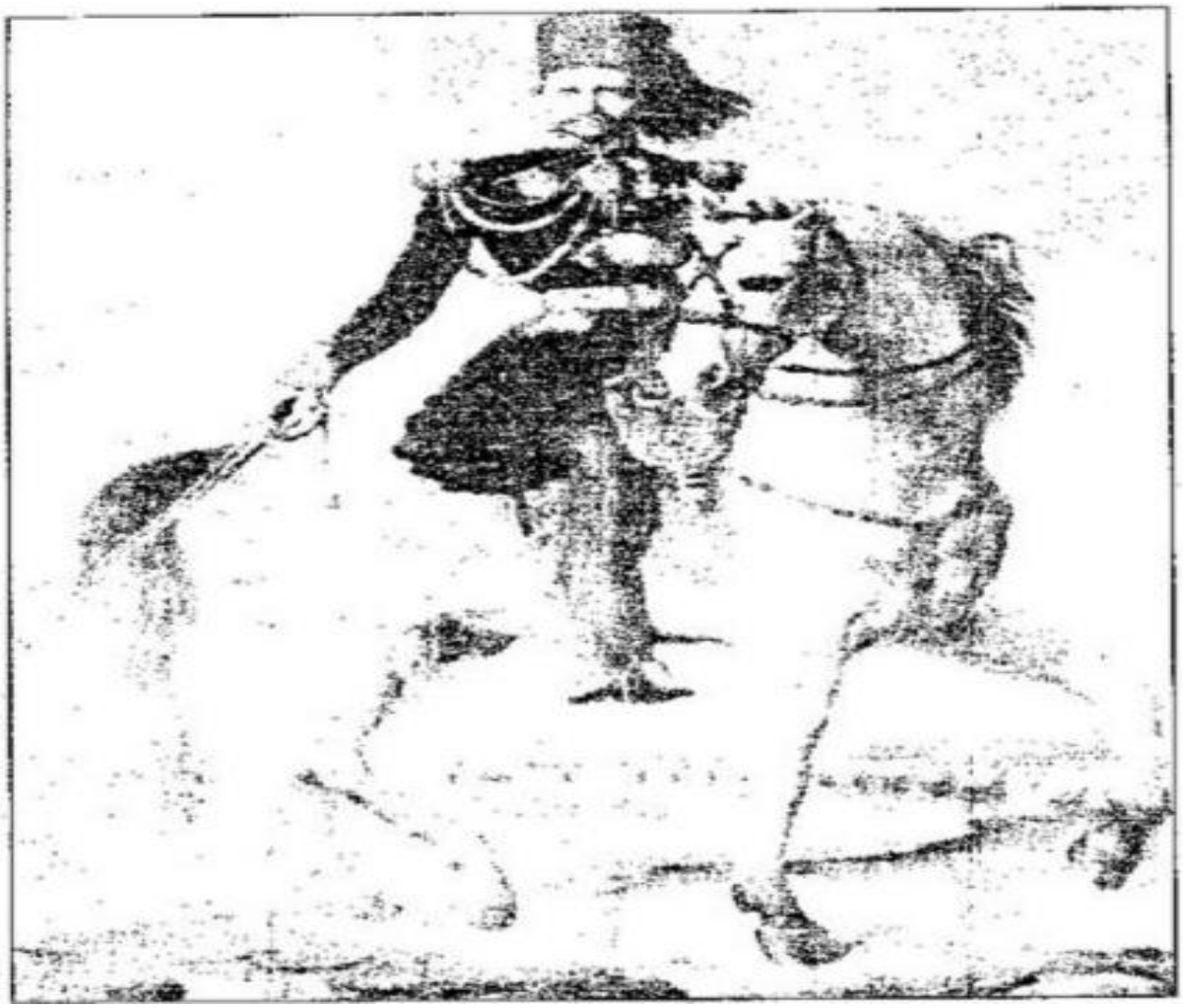

[1] علي المحجوبي، جذور الحركة الوطنية التونسية (1904م-1934م)، المرجع السابق، ص123.

## الملحق رقم (5): مقتطفات من خطاب بشير صفر في حفل التكية.[1]

مقتطفات من خطاب البشير صفر في حفل تدشين "دار التكية"
يوم 30 مارس 1906

« يا جناب الوزير،

إنّ المسلمين بهذه الدّيار يقدّرون ما قامت به دولة الحماية من الإصلاحات النافعة حق قدرها، ويسرّهم أيضا ما يرون من المساعي الدولية في توسيع دائرة الأعمال الخيرية، غير أنّ ممنونيتهم تكون أعمّ وأشمل لو أضافت الدولة إلى عنايتها الحالية بإغاثة المصاب اعتناء جديدا بالنظر في الوسائل التي تحفظ التونسي من الوقوع في هوّة الفقر والخراب. فإذا فتحت للأهالي أبواب التعليم الصناعي والتجاري والزراعي، وإذا أحيطت اليد العاملة الإسلامية بسوار من العناية الدولية، وإذا رفعت الصنائع المحليّة بالوسائل الجمركية وغيرها، وإذا بقيت الأملاك الأهلية بأيدي أربابها، فإذا تمّ جميع ذلك، فالظاهر يا جناب الوزير أن وطأة الفقر الملمّ الآن بالهيئات التونسية تخفّ عن عاتقها كثيرا إن لم تقل تزول بالكليّة. وأملنا وطيد في أن دولة الحماية لا تلبث أن تتوّج باتخاذ تلك التدابير هيكل الترقيات التي أحسنت بدايتها في هذه الدّيار، وبذلك تنال ممنونيّة التونسيين خصوصا ومودّة واستحسان المسلمين عموما (...)»

عن جريدة «الحاضرة»، بتاريخ 30 مارس 1906

[1] خليفة الشاطر وآخرون، المرجع السابق، ص67.

**الملحق رقم (6): مخطط هندسة جامع الزيتونة.**[1]

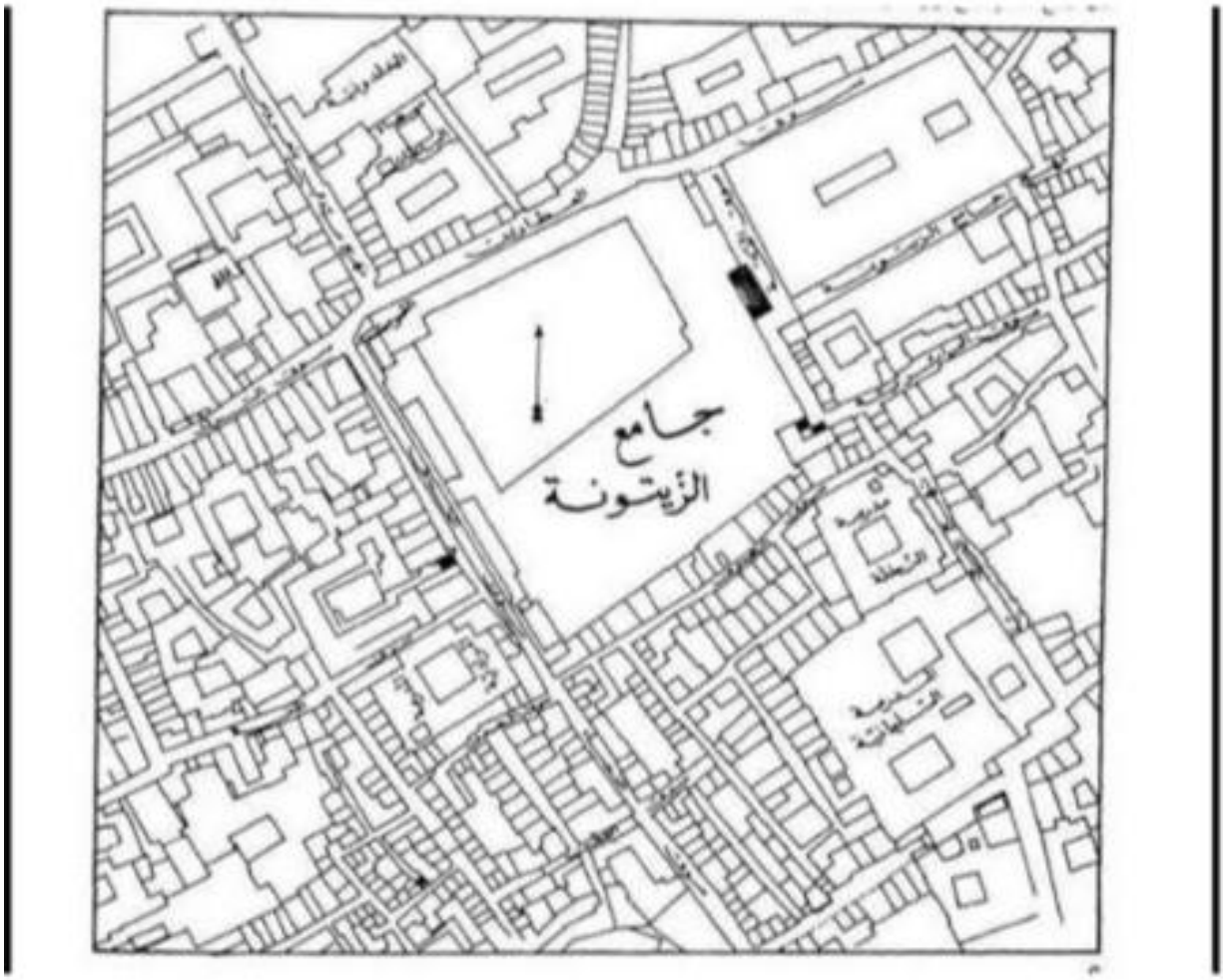


[1] محمد العزيز بن عاشور، المرجع السابق، ص06.

# قائمة المصادر والمراجع

**القـــرآن الكـــــريم برواية ورش عن نافع.**

**الحـــديـــث النـــبوي الشـــــريـــف:**


- النووي يحي بن شرف الدين، شرح متن الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، ط4، مكتبة دار الفتح، دمشق، 1984م.


**1. المصادر باللغة العربية:**


1) ابن ابي الضياف أحمد، اتحاف اهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، م2، ج4، تح: لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، الدار العربية للكتاب، د ت ن.

2) ابن أبي دينار، المؤنس في اخبار افريقية وتونس، ط1، مطبعة تونسية، تونس، 1986م.

3) ابن خوجة محمد، صفحات من تاريخ، تق وتع: حمادي الساحلي، الجيلاني بن الحاج يحي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1896م.

4) ابن عاشور محمد الطاهر، أليس الصبح بقريب، ط1، دار سحنون، تونس، 2006م.

5) بك المحامي محمد فريد، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، ط1، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1981م.

6) بيرم محمد الخامس، صفوة الاعتبار بمستودع الامصار والاقطار، ج2، تح: مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، 1997م.

7) التونسي خير الدين، أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، تق: محمد الحداد، دار الكتاب المصري، القاهرة، د ت ن.

8) التونسي خير الدين، مذكرات خير الدين باشا، تح وتع: محمد العربي السنوسي، دار بيت الحكمة، تونس، 2008م.

9) الثعالبي عبد العزيز، تونس الشهيدة، تر وتق: سامي الجندي، دار القدس، بيروت، 1975م.

10) حسني عبد الوهاب حسن، خلاصة تاريخ تونس، تق: حمادي الساحلي، دار الجنوب، تونس، 2015م.

11) مخلوف محمد بن محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

## 2. المـــــــــــراجـــــــــع:

1) ابن عاشور محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، مج2، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984.

2) ابن عاشور محمد العزيز، جامع الزيتونة المعلم ورجاله، دار سراس للنشر، تونس، 1941م.

3) ابن عاشور محمد الفاضل، الحركة الأدبية والفكرية في القرنين 13-14هـ/ 19-20م، المجتمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، تونس، 2009.

4) أبو الاجفان أبو محمد، وضعية المخطوطات العربية بتونس، د ط، تونس، د س.

5) أبو حمدان سمير، خير الدين التونسي أبو النهضة التونسية، د ط، الشركة العالمية للإنتاج، بيروت، 1993.

6) أمين احمد، زعماء الإصلاح في العهد الحديث، مكتبة النهضة المصرية، ط3، مصر، 1971م.

7) بن بلغيث الشيباني، الجيش التونسي في عهد محمد صادق باي (1859م-1882م)، د ط، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعارف، صفاقس، 1995م.

8) بن بلغيث الشيباني، النظام القضائي في البلاد التونسية (1867م-1927م)، مكتبة علاء الدين، صفاقس.

9) البهلواني علي، تونس الثائرة، هنداوي، د م ن، 2017.

10) التميمي عبد الجليل، بحوث ووثائق في التاريخ المغاربي، تقديم زوبير منتران، ط1، الدار التونسية للنشر، تونس، 1972م.

11) التيمومي عبد الهادي، المغيبون في تاريخ تونس الاجتماعي، ط1، بيت الحكمة، د ت.

12) الجابري محمد صالح، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الى تونس (1900م-1962م)، الدار العربية للكتاب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1983م.

13) الجمل شرقي عطاء الله، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث، ط1، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1977م.

14) جوهر محمد حسن، تونس، ط1، دار المعارف، القاهرة، مصر، 191م.

15) الحبيب ثامر، هذه تونس، مطبعة الرسالة، القاهرة، مصر، 1948م.

16) خطاب محمود شيث، قادة الفتح المغرب العربي، ج1، ط7، دار الفكر، 1974م.

17) الذوادي رشيد، رواد الإصلاح، منشورات عبد الكريم بن عبد الله، ط2، تونس، 1983.

18) الذوادي زهير، الاستعمار وتأسيس الحركة الإصلاحية في تونس، ط1، الأطلعية للنشر، 2006م.

19) الرازي أبي بكر عبد القادر، مختار الصحاح، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990.

20) الرائد أحمد إسماعيل، تاريخ أقطار المغرب العربي السياسي حديث ومعاصر، د ط، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 2004.

21) زيادة نقولا، تونس في عهد الحماية، دار الاهلية للنشر، القاهرة، مصر، 1963م.

22) الساحلي حمادي، فصول في التاريخ والحضارة، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

23) سعيدان محفوظ، الواقع الاقتصادي للمجتمعات المغاربة في العهد العثماني من مطلع القرن 18 حتى 1830م، مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر، 2012.

24) سعيدوني ناصر الدين، الأوضاع الاقتصادية والثقافية لولايات المغرب العثمانية، جامعة الكويت، 2020م.

25) سنوسي عبد الله محمد بن عثمان، مسامرات الظريف بحسن التعريف، تح: النيفر محمد الشاذلي، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994م.

26) الشاطر خليفة وآخرون، تونس عبر التاريخ (الحركة الوطنية التونسية)، ج3، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، المكتبة الجامعية، تونس، 2005.

27) الشابي لطفي، الحركة الوطنية التونسية والمسألة العمالية النقابية 1894م-1956م، مركز النشر الجامعي، تونس، 2010.

28) الشريف محمد الهادي، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ الى الاستقلال، تح: محمد الشاوش، محمد عجنية، ط3، دار سراس للنشر، تونس، (د.ت).

29) الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية، ط2، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، 1990.

30) الطويلي احمد، رسالة المناعي الى المشير الأول احمد باي في الشكوى من احمد بن ابي الضياف، الدار التونسية للنشر، تونس، د ت.

31) عبد السلام أحمد، مواقف إصلاحية في تونس قبل فرض الحماية، ط1، الشركة التونسية للنشر والتوزيع، تونس، 1997.

32) العجيلي التليلي، الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسي (1881م-1939م)، منشورات كلية الآداب جامعة منوبة، تونس، 1992م.

33) عزيز عبد الكريم، نضال شعب أبي تونس 1881م-1956م، د ط، مركز النشر الجامعي، تونس، 2001.

34) غانياج جان، تاريخ تونس المعاصر (1881م-1956م)، تع: حمادي الساحلين الشركة التونسية للتوزيع، تونس،

35) قدورة زهية، تاريخ العرب الحديث، د ط، دار النهضة، بيروت، لبنان.

36) قصاب أحمد، تاريخ تونس المعاصر 1881م-1956م، تع: حمادي الساحلي، ط1، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1986م.

37) قمعون الصحراوي، حركة الإصلاح والتحديث في تونس، برقة للنشر والتوزيع، تونس، 2012.

38) اللولب حبيب حسن، أبحاث ودراسات في تاريخ المغرب العربي المعاصر، وزارة الثقافة، الجزائر، د ت ن.

39) المحجوبي علي، انتصاب الحماية الفرنسية بتونس، ترجمة عمر بن ضو، دار سراس للنشر، تونس، 1986م.

40) محفوظ محمد، تراجم المؤلفين التونسيين، ج2، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1982م.

41) منصور عبد الحفيظ، فهرس مخطوطات المكتبة الاحمدية بتونس، ط1، دار الفتح، بيروت، 1969م.

42) ياغي إسماعيل أحمد، العالم العربي في التاريخ الحديث، مكتبة العبيكان، الرياض، 1997.

43) يحي جلال، المدخل الى تاريخ العالم العربي الحديث، د ط، دار المعارف، مصر، 1965.

**3. المقـــــــالات والدوريـــــــات:**

1) حباسي الشاوش، الإيالة التونسية قبيل فرض الحماية الفرنسية، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 6، جامعة الجزائر، 1992.

2) دوحة عبد القادر، الإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية لخير الدين التونسي في منتصف القرن 19 وعلاقتها بالحضارة العربية، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، ع11، ديسمبر، 2016م.

3) عصامي سكينة، آليات ومناهج تعليم الكتاتيب بالجريد التونسي من بداية القرن التاسع عشر الى سنة 1889م، جامعة صفاقس، تونس.

**4. المجـــــــلات والموســـــوعـــــات:**

1) بوطيبي محمد، "الجمعية الخلدونية التونسية بين الرمزية التاريخية والمشروع العلمي التونسي في مجلة الأوقاف الفكرية"، مج6، العدد 2، 2018م.

2) التهاوني محمد علي، موسوعة كشاف إصلاحات والفنون والعلوم، تقديم رقيق العجم وعلي دحروج، مكتبة لبنان، ج2.

3) الجمل محمد أحمد، اختبارات الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور في كتابه (التفسير ورجاله) دراسة نقد، مجلة دار العلوم، جامعة القاهرة، عدد 121، 2020م.

4) خيضر رابحة محمد، مجلة التجربة الإصلاحية في تونس في عهد محمد صادق باي (1859م-1881م)، جامعة الموصل.

5) دوحة عبد القادر، الإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية لخير الدين التونسي في منتصف القرن 19 وعلاقتها بالحضارة العربية، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، ع11، ديسمبر، 2016م.

6) الساحلي حمادي والشنوفي المنصف، موسوعة الأعلام والعلماء والادباء العرب والمسلمين، ط1، دار الجيل، لبنان.

7) عليوي جمعة وآخرون، "السياسة الفرنسية جبال تونس 1881م-1914م"، مجلة الأستاذ، م1، ع84، 2015م.

8) عماري الطيبي، "الدراسات والبحوث في المجتمع والتاريخ"، مجلة المواقف، ع7، الجزائر، ديسمبر 2012.

9) فرج حافظ عادل أمين، مكانة الفلسفة والمنطق عند الشيخ الطاهر بن عاشور، مجلة الجمعية الفلسفية المصرية، العدد السادس والعشرون، السنة السادسة والعشرون.

10) الكيالي عبد الوهاب، الموسوعة السياسية، ج2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

11) محمد سريج، موقف التونسيين من فرض نظام الحماية الفرنسية 1881م-1912م، مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد 9، العدد 1، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، الجزائر.

12) مهني مراد، "الثقافة السياسية وتطور المؤسسة البرلمانية قراءة سوسيو تاريخية في التجربة التونسية (1861م-2011م) دفاتر السياسة والقانون، ع12، جانفي 2015م.

13) نجم عمر عبد الله، مفهوم الإصلاح في القرآن الكريم، مجلة ديالي، العدد الثامن والعشرون، كلية التربية، الاصمعي، 2008م.

**5. القـــــــواميـــــس والمعـــــــاجـــــــم:**

1) بن فارس بن زكرياء، ابي حسن أحمد، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، 2000م.

2) الزركلي، خير الدين، الاعلام- قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج2، دار العلم للملايين، 2002م.

3) الزمرلي، صادق: اعلام التونسيين، تق وتع: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986.

4) زيتون وضاح: المعجم السياسي، دار أسامة المشرق الثقافي، عمان، 2010.

5) عبد الغني مصطفى، معجم مؤرخي التاريخ العربي الحديث والمعاصر، ج2، دار الجوهرة للنشر والتوزيع، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 2014م.

**6. الرســـــــائل الجـــــــــامعـــــــــية:**

**6-1. الدكتـــــــــوراه:**

- سمية لوافي، نشاط الطلبة الجزائريين الفكري والثقافي بتونس (1930م-1962م) جامع الزيتونة آنموذجا، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ المعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2014م-2015م.

**6-2. المـــــــــاجستـــــــير:**

- شيخ ياسين، محمد الأمين بوعزارة، "خير الدين التونسي حياته واطروحاته الإصلاحية"، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، إشراف عبد القادر خليفي، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2020م-2021م.


### 6-3. المـــــــــــاستـــــــــر:


- أمال مكسور، خثير صافي، الحركة الإصلاحية بتونس في النصف الثاني من القرن 19، 1850م/1881م، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة أحمد دراية، أدرار، 2019م-2020م.
- بن عبد الكريم كريمة ومبخوت نورة، عبد العزيز الثعالبي، دوره في الحركة الوطنية التونسية 1874م-1944م، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة أحمد دراية، أدرار، الجزائر، 2019م.
- بوعكاز ريحانة ومعزيز هاجر، دور المؤسسات الدينية المغاربية في مقاومة الاستعمار الفرنسي- جامع الزيتونة والقرويين آنموذجا، دراسة تحليلية مقارنة، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة العربي بن مهيدي، ام البواقي الجزائر، 6 أكتوبر 2020م.


### 7. المحـــــــــاضـــــــــرات:


- محمد عطية، تاريخ تونس المعاصر 1881م-1956م، حامل بيداغوجي موجه لطلبة سنة أولى ماستر، تاريخ تخصص مغرب عربي معاصر، جامعة عمار ثليجي، الأغواط الجزائر، الجزائر، 2010م-2011م.

# فهرس المحتويات

الفهـــــــــــــرس

إهداء

.....د

شكر وعرفان

.....ه

قـــــائـــــــمة المـــــختصـــــــرات ..... و

مـــــقدمـــــــة.....أ

الفصل الأول: إرهاصات الحركة الإصلاحية في تونس قبل فرض الحماية (1881).....9

- المبحث الأول: مفهوم الحركة الإصلاحية في تونس .....11
  - ✓ المطلب الأول: تعريفها لغة .....11
  - ✓ المطلب الثاني: تعريفها اصطلاحا.....12
- المبحث الثاني: الظروف العامة في تونس قبل فرض الحماية .....14
  - ✓ المطلب الاول: سياسيا واقتصاديا.....14
  - ✓ المطلب الثاني: الظروف الاجتماعية والثقافية.....21
- المبحث الثالث: أسباب بروز الحركة الإصلاحية في تونس في النصف الثاني من القرن 19 25
  - ✓ المطلب الأول: الأسباب السياسية والاقتصادية .....25
  - ✓ المطلب الثاني: الأسباب الاجتماعية والثقافية .....31

الفصل الثاني: رواد الحركة الإصلاحية في تونس واسهاماتهم الحضارية.....35

- المبحث الأول: محمد صادق باي (1859م/1882م).....36
  - ✓ المطلب الأول: مولده ونشأته.....36
  - ✓ المطلب الثاني: أعماله الاصلاحية .....37

- ❖ المبحث الثاني: محمد بيرم الخامس (1840م–1889م).....42
  - ✓ المطلب الأول: مولده ونشأته.....42
  - ✓ المطلب الثاني: أعماله الإصلاحية.....45
- ❖ المبحث الثالث: خير الدين التونسي (1849م–1879م).....47
  - ✓ المطلب الأول: مولده ونشأته.....47
  - ✓ المطلب الثاني: أعماله الاصلاحية.....49

الفصـــل الثالث: انعكاسات الحركة الإصلاحية على المجتمع التونسي.....57

- ✓ المبحث الاول: نتائج الحركة الاصلاحية في تونس على المستوى السياسي. .....58
  - ✓ المطلب الاول: خطاب البشير صفر.....58
  - ✓ المطلب الثاني: مؤتمر مرسيليا. .....59
  - ✓ المطلب الثالث: الحزب الدستوري الحر 1920م. .....60
- ✓ المبحث الثاني: نتائج الحركة الاصلاحية في تونس على الصعيد الاقتصادي. .....61
- ✓ المبحث الثالث: نتائج الحركة الإصلاحية في تونس على الصعيد الثقافي الفكري.....62
  - ✓ المطلب الأول: النشاط الصحفي التوعوي. .....62
  - ✓ المطلب الثاني: النشاط الجمعوي. .....64
- ✓ المبحث الرابع: نتائج الحركة الاصلاحية في تونس على المستوى التعليمي الديني.....65
  - ✓ المطلب الاول: جامع الزيتونة.....65
  - ✓ المطلب الثاني: الزوايا والكتاتيب. .....72

خـــــاتمـــة.....74

قائمة الملاحق.....62

قائمة المصادر والمراجع..... 83

فهرس المحتويات ..... 92

ملـــــــخـــــص: ..... 98

Abstract:..... 99

تم بعون الله وحمده.

# ملخص

# ملـــــــخـــــص:

يهدف هذا البحث الى محاولة تسليط الضوء على موضوع هو من ضمن الدراسات التاريخية ألا وهو الحركة الإصلاحية في تونس وذلك في ظل فترة زمنية محددة تاريخيا من 1859م إلى غاية 1920م أي من بداية حكم صادق باي حتى بروز بوادر الوعي الوطني في تونس، حيث تعرفنا من خلاله كيف كانت الظروف العامة في البلاد التونسية قبل فرض الحماية، وكذا أسباب بروز هاته الحركة الإصلاحية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وتطرقنا إلى ابرز المصلحين الذين بذلوا قصار جهدهم من اجل الإصلاح والنهوض بالبلاد معتمدة على المنهج التاريخي الوصفي لدراسة هذه الاحداث، ومن ابرز هؤلاء المصلحين الذين سعوا لرقي وتقدم البلاد نذكر محمد صادق باي ومحمد بيرم الخامس وخير الدين التونسي، إضافة الى مدى مساهمة هذه الحركة في ظهور النهضة التونسية وما تداعياتها على المجتمع التونسي مستخلصة فيما يلي:

أن من بين الأسباب التي أدت الى بروز الحركة الإصلاحية في تونس هي تلك الأوضاع التي آلت اليها الإيالة التونسية خلال التونسية خلال الفترة 1859-1920م وتردي الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في تلك الاثناء والذي نتج عنه ظهور مجموعة من المصلحين الذين ساهموا في تقدم ورقي الحركة النهضوية العربية في تونس من خلال اصلاح الأوضاع المتردية سياسيا واقتصاديا وثقافيا وكل هذه الاحداث لم تمنع الحركة الإصلاحية من مواصلة نشاطها عن طريق بروز بوادر الوعي الوطني من خلال نشر الصحف وتأسيس الجمعيات، كل هذا ساعد على رفع مستوى التعليم والوعي لدى التونسيين.

# Abstract:

This research aims to try to highlight the subject of the reform movement in Tunisia from 1859 to 1920 until the beginning of Sadiq Bay's rule until the emergence of national awareness in Tunisia. In which we learned about the general conditions in Tunisia before the imposition of protection. The reasons for the emergence of this reform movement during the second half of the nineteenth century, the most important reformers who sought to upgrade and advance the country include Mohamed Sadik Bey and Mohamed Perm V and the extent to which this movement contributed to the emergence of the Tunisian renaissance

One of the most important reasons for the emergence of the reformist movement in Tunisia is the dire economic and social conditions, which led to the emergence of a group of reformers who contributed to the advancement of the paper of the Arab Renaissance movement in Tunisia.